روايـــــة

العطــــــارين . . .

محمد عبد الله عيسى

الغـــلاف : (بريشـة الفنـــان / وهبـــه ذكـــرى)

إهـــــداء . . .

* * *

إلى . .

العطـــارين . . مسقط رأسى . .

وإلى . .

صـديقى المســـافر أبـداً . . حتى نلتــقى . .

محمد عبد الله عيسى

تقـــديم . .

للدكتور : محمد مصطفى هدارة

« العطارين » من أقدم أحياء الإسكندرية له ماض عريق فى تاريخها ويمثل بنية حية فى واقعها ، وهو يتميز على باقى الأحياء بغلبة الأجانب المقيمين فيه خاصة فى فترة الحرب العالمية الثانية . . وقد اتجهت الرواية العالمية منذ سنين طويلة إلى التاريخ القديم والمعاصر لتجوس فى حناياه وتستخرج كوامنه لتجعل منها مادة قصصية ثرية بشخصياتها وأحداثها التى تتفاعل وتتحرك من خلال وقائع التاريخ . . وكانت الأحياء مجالا فسيحاً لتكشيف الرؤية القصصية ، وتحليل الشرائح الاجتماعية والشخصيات فى ضوء الخلفية التاريخية ، فالحى كائن فى عالم متكامل بمن فيه من البشر وما تجرى فى ساحته من أحداث ، وهو جزء من الوطن فى إطاره العام يتصل به نبعاً وشعوراً وفكراً ، بل يتصل به وجوداً وحياة . .

وقد عرفت الرواية المصرية هذا الاتجاه الذى سار فيه شيخ القصة المصرية (نجيب محفوظ) حين قدم روائعه فى قصر الشوق وبين القصرين والسكرية وسجل تاريخ المجتمع المصرى بطوائفه وأفكاره وعقائده من خلال مجتمعات الأحياء الشعبية فى فترات التحول الحاسمة فى تاريخ مصر .

وهاهو ذا محمد عبد الله عيسى يلتفت فى رؤية إبداعية خصبة إلى مسقط رأسه (حى العطارين) ، فيعرض لوحة زاخرة بالوجود الإنسانى ، مفعمة بالحياة التى تسطع فيها شخصيات متناقضة وأحداث وأفكار ، ففى

هذا الحى (أناس طيبون بسطاء يعيشون يومهم ينحتون الصخر من أجل البقاء) ، وهؤلاء يمثلون العنصر المصرى الشعبى الذى لا يعرف خبثا ولا تعقيداً وإنما يستمد بساطته من بسطة الأرض فى وطنه ، وطيبته من طيبة أرضها وخصبها ، وترى الصبر سمة أساسية فيه ، وهى مستمدة من طبيعة المجتمع الزراعى المتحضر الذى يبذر البذرة ويظل يسقيها ويرقبها حتى تنمو وتزكو ليقطف ثمار ما غرسه . ونجد روح التعاون والتكامل سائدة فى هذا الحى الشعبى (كل الكبار فى الحى أخوال الصغار ، وكل الأمهات خالات الجميع) ، ويحس الجميع وطأة الفقر ومحاصرته لهم ، كما نسمع على لسان (أبو الروس) : « الفقر وراءنا فى كل مكان » ، ولكنهم مع ذلك يحلمون بالغد المشرق (يحلم كثيراً أهل الحى) . وفى قطاع أبناء الشعب الذين يؤلفون الغالبية العظمى من سكان الحى نصادف شخصيات غريبة : (الشبرو) وهو الشخصية الرئيسية ، عربجى لديه عربة (كارو) ارتبط بالحى ارتباطاً وثيقاً فلم يغادره إلى أبعد من أبى قير ، وقد اعتاد أن يحمل (فكيهة الأبونبه) التى أطلق عليها اسم (زبدة) عندما تحضر من قريتها القريبة من الإسكندرية وهى تحمل البيض والزبد والطيور والجبن القريش وهى امرأة متسامحة طيبة . تقدّر ظروف فقر أهل الحى فتبيعهم أشياءها بالأجَل. والشبرو معجب بفكيهة .. سعيد بالتعامل معها ، وإن كان حبه الكبير لزكية وفشله فيه دفعه إلى الإغراق فى الخمر ، ولكن شخصيته فيها قدر كبير من التماسك والإعتداد بالرأى ، وفى أعماقه أصالة التمسك بالتراث فهو يرفض أن يبيع البيت القديم الذى ورثه عن والدته ، بحيث أصبح البيت رمزاً فى الرواية ، لأن أحد اليهود أراد شراءه وبذل الكثير لإغراء (شبرو) الفقير ولكنه رفض فى إباء مردداً أنه من رائحة (أمه) والبيت فى رأيى - هو الوطن - والأم هى مصر ..

وفى الحى جنسيات لا تحصى من الأجانب : اليهود والأرمن والألبان والبلغار واليونانيون ثم الشوام . وقد قدم الكاتب شخصيات كثيرة من هذه الفئات وأقام بينها علاقات متشابكة شديدة التعقيد والسهولة فى آن واحد.. ولكن توجيه هذه العلاقات والعمل على نموها وتطورها وربطها بالأحداث اقتضى منه براعة فى الأداء الفنى ، تفرض نفسها على القارىء بما يحسه من حيوية الحركة وتدفقها فى تيار هادىء أحياناً ، صاخب أحياناً أخرى . وتحس هذه الحيوية فى نقل القارىء إلى داخل هذا الحى بشوارعه وحاراته وبيوته العتيقة وشخصياته المتصارعة فاليهود يمارسون أعمالهم البغيضة فى الربا ويضعون لذلك قاعدة تقول (عند الجوع يفكر الفقراء ببطونهم ، عندها يمكنك أن تساومهم على كل شيء) ، وكذلك فى التعهر ، فراشيل تقدم نفسها للجنود الإنجليز وتسقط معها من بنات الحى (عزيزة) .

ويتاجر اليونانيون فى البقالة وبيع الخمر وتمثلهم ماريكا صاحبة الحانة التى تعتمد فى كثير من الأحيان على الخمر المغشوشة ، وكادت تفقد عقلها بسبب غياب زوجها منذ الحرب العالمية الأولى ، ثم آدم البقال .. ويعمل معظمهم (جرسونات) ويمثل هذه المهنة فى الرواية (كوستا) . وتختلط العواطف وتتشابك فى هذه العلاقات التى تمتد خيوطها فى كل إتجاه ، فلوسيان الشامية تحب يورغو اليونانى وهو لا يعبأ بها ، بينما يتزاحم عليها عشاق جمالها ، و (الشبرو) تحطمَ حبه لزكية ، وعزيزة تخون زوجها عباس حرامى الغسيل وهكذا . .

ويجول بنا الكاتب فى زوايا التاريخ منذ كانت العطارين أهم مركز فى مصر لتصدير البهار ومن هنا أخـذت اسمها ، وحين كان اليهـود يتوغلون

فى داخل المجتمع المصرى وهو غافل عنهم فكان بأيديهم إقتصاده وكانوا يلقون كل رعاية من الحكومة وقتذاك حتى أن رئيس الطائفة اليهودية قدم الشكر لحسين باشا رشدى رئيس الوزراء على معاونته لاجئى اليهود . وتناغم الرواية مع وقائع التاريخ فى تلك الفترة ، فهى تحكى قصة صراع اليونانيين حول الملك جورج الثانى ملك اليونان ، وتحكى ما كان لليونانيين من نشاط ثقافى بارز فى الإسكندرية من خلال المجلات والأدباء ويأتى على رأسهم كفافيس شاعر اليونان الكبير . ولم تتنبه الحكومة المصرية للحركة الصهيونية إلا بعد مقتل اللورد موين .

ويوظف الكاتب معلوماته التاريخية فى بناء نسيج الرواية توظيفاً يبلغ حداً من الدقة والجمال الفنى ، فنرى من خلال حركة الأحداث محل السجائر الذى كان يعمل به الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى فى العطارين ، ونمر بجامع العطارين الذى كان يسمى جامع الجيوشى نسبة إلى بانيه أمير الجيوش بدر الجمالى .

ونرى بعض فقراء العطارين يعيشون على السرقة من معسكرات الجيش الإنجليزى ، ويطالعنا الكاتب بمفاوضات مع أم كلثوم للذهاب إلى مراكش وبتوشيح للشيخ طه الفشنى لحنه محمد عبد الوهاب .

ونلتقى بملفين أحمر وأسود ، فى الأول أخبار مجون الملك فاروق ، وفى الثانى جرائم الانجليز وتدخلهم السافر فى تغيير الحكومة فى ٤ فبراير ، ثم نقابل غزو الألمان لمصر وقرب دخولهم إلى الإسكندرية وحالة الرعب التى انتابت الأجانب ، وهجرة أهل الإسكندرية بسبب عنف الغارات الجوية الألمانية إلى الريف .

وتتقصى ريشةُ الكاتب الملامح النفسية للشخصيات مثلما تتقصى ملامحهم الخارجية ، وجود الأماكن وحركتها الدائبة ، وفى الوقت ذاته وصفها بدقة متناهية بحيث يخلع على الأماكن شخصيات حية ، ونلمس ذلك فى وصفه لمحطة مصر ومعايشته لكل جزئية ولكل شخصياتها . وهو لا يجسد المكان فحسب فى (العطارين) بل يجسد الزمان أيضاً عندما ينسج حوله الوقائع التاريخية ويردد الألحان الشعبية لسيد درويش كلحن الشيالين والصنايعية ، ويسجل أسعار ذاك الزمان (ست قطع جبن قريش بقرش صاغ)..

إن (العطارين) رواية واقعية نابضة بالحياة يبدو فيها التاريخ كالموسيقى التصويرية التى تصاحب الروايات المرئية على شاشة السينما أو التليفزيون ، ولكنها تبعد عن النزعة التوثيقية أو التسجيلية بما وفره لها القاص من حرية الحركة سواء فى الحدث أو الشخصية فكلها له وجود طبيعى ينساب بلا جهد أو تكلف ليؤلف مشهداً حياً لشريحة من المجتمع المصرى تعيش فى العطارين فى فترة تقع قبيل الحرب العالمية الثانية حتى نهايتها . .

د . محمد مصطفى هدارة

- ١ -

محطة مصر - (الشبرو) ..

لقد دأب على انتظارها فى هذا الركن القصىّ ، بعيداً عن عيون حمالى المحطة حتى لا تناله أياديهم القوية ، تلطمه، تدغدغ أصداغه... تختلف كثيرا عن خربشات خاله - حسن زبيبه على الخد، وقد يبلغ الغيظ منهم مكاناً فى أيام الجفاف، فتلاحقه ركلاتهم الغاضبة تطارد جسمه فى كل موضع ..(جاء يسرق زبائننا .. أين السكرانة) . . .

لم ينس ما حدث له فى ذلك اليوم البعيد، اتفق معها أن ينتظرها خارج الرصيف بعيداً ، عند السور الحديدى الداخلى للمحطة .. فقد أقسموا إن لمحوه داخل أحد القطارات ذات يوم ، سوف يكبلونه ويلقونه فوق (الفلنكات) حتى تأكله (العفريته) القاطرة ..

أبدا لم يخلف الميعاد .. يعرفها منذ زمن بعيد .. امرأة طيبة .. تعطف عليه ..يفتقد طيبتها ونقاءها فى وجوه كثير من النساء الاتى يعرفهن ..

لا يعيبها سوى بدانتها التى تخلع كتفيه عند جر العربة .. وثرثرتها التى تفرغ الرأس من خمره ، تجعله خاويا أجوف ...

ينزوى خلف السور الحديدى الذى يفصل مساحة اللقاء بين المودعين والمسافرين ، والمستقبلين والقادمين ...

يراقب وصول القشاش الذى يغادر القاهرة فى الحادية عشر مساء كل يوم.. يقف فى كل مركز (يقش ركـابه) ، يفرغ حمـــولة الغطيط والعطن

صباح اليوم التالى على الرصيف رقم (ثلاثة) . . يحفظ ذلك عن ظهر قلب بالرغم من أنه لم يركب أبداً قطار الخط (الطوالى) إلى القاهرة . . . (أبو قير) هى أبعد نقطة بلغها فى خريطة حياته . . .

يركن القطار إلى رصيفه فى سرعة معدومة . . يقفز حمالو المحطة المعتمدون (هكذا تقول الشارات النحاسية فوق صدورهم) . . . يتصيدون فرائسهم قبل أن تعود كوامن الإدراك فيهم بعد أن هدتهم رحلة العناء والضوء الدامس . . .

يقفز الركاب . . يدفع بعضهم بعضاً . . يندفعون خارج الأبواب . . يلقون حاجاتهم من الداخل ومن الشبابيك . . يتخبطون . . يصرخون . . يتشاجرون . .

يعرف أنها لم تزل قابعة فوق مقعدها . . أو فى طرقة العربة . . أو فى ركن ما منها . . لن تبرح مكانها وأشياءها الصغيرة التى تتشبث بها قبل أن يخلو الرصيف تماماً من كل الركاب . . عندها ، ينطلق من مكمنه فى طريقه إليها . . إنها تنتظره . .

يقدم تذكرة المقابلة (ليعبر سور الحديد الفاصل) إلى (كمسارى) الرصيف الذى يجمع تذاكر القادمين والمستقبلين . .

ذات مرة فقدت تذكرتها ، فلم تعبر السور الحديد حتى قام (الشبرو) بتسديد الغرامة المطلوبة . .

خرجت المرأة فى أثره ، تحمل فى يمينها سلة كبيرة مملوءة بالبيض المدفون فى القش ، وفى اليد اليسرى سلة أخرى مملوءة بالجبنة (القريش) الفلاحى ، تنام فى أعواد البرسيم . .

بينما يحمل (الشبرو) قفصاً كبيراً فوق رأسه يسنده بيمينه ، يرقد داخله طيور كثيرة . . (بط . . أوز . . دجاج) . . وتتدلى من يده اليسرى صفيحة سمن . .

يعبران السور بعد أن يسلما تذاكرهما للكمسارى الواقف لتصيّد المخالفين . .

يتخطيان البوابة العالية ، يعلوها عقد ، ترصعه ساعة المحطة الرئيسية ، تؤذن دائماً لحركة القطارات تحت هذا (الجمالون) الحديدى الضخم ، المغطى بألواح زجاجية . .

يخرجان إلى فناء المحطة . . يتخبطان فى الفلول المتحركة ، كل يسعى إلى طريقه فى اتجاه مختلف . .

يتجهان إلى فناء الساحة الواسع . . تصافح عيناهما ضوء الصباح القادم .. تلفحهما نسمة هواء رطبة ، تحمل فى أحشاها نفحات (اليود).. (مرية يا أسكندرية) . .

* * *

العربات الصغيرة (كارو - يد - حنطور) إلى جوار الواجهة الرئيسية من المبنى الوردى الضخم ، تنتظر من تبلعهم إلى جوف المدينة . .

بينما تركن السيارات (أجرة - ملاكى - صحافة) إلى جانب واجهة المبنى المطل ناحية ملعب (الملك) . . تنتظر سادة القوم . . راكبى الأكسبريس . .

أما العفش والتشهيلات فمكانها هناك تحت واجهة المبنى المطل ناحية حى (محرم بك) . . تركن إلى جوارها سيارات النقل الكبيرة . .

. . . . . .

يتجهان إلى عربة اليد الصغيرة التى لا تكاد تظهر فى خضم هذا الحشد .. وما أن يلمحها (بوللى) الصغير - يرافق (الشبرو) دائماً - حتى يسرع يتلقف عنهما ما يحملانه . . يسند العربة بعد أن يضع الكرسى الخشبى الصغير تحت قدمى المرأة البدينة . . تستند إليه ، يرفعها (الشبرو) إلى ظهر العربة . . يرص بضاعتها . . ثم يتجه إلى المقدمة ، يطبق بيديه على ذراعى العربة ، بعد أن يرفع الكرسى الصغير ، ينظر خلفه ، يطمئن إلى جلستها والأشياء حولها قبل أن يتجهوا إلى سوق باب (عمر باشا) . .

يرفع جلبابه . . يقضمه بأسنانه . . يشمر عن ساقين مخرتهما الأيام . . يطلق العنان لقدميه تحملهما .. يجر العربة .. يدفعها (بوللى) من الخلف .

. . . . . .

. . . . . .

(قرب شيلنى شيّل .
لا تقول كتير وقليّل .
هيـــلا هيـــلا
هيـــلا هيـــلا .)[1]

. . . . . .

. . . . . .

فى الطريق من محطة مصر إلى مكانها المألوف فى السوق مروراً بشارع ابن الخطاب . .

- لا تنس طلبات أخوتك وأخوالك فى البلد .

- أعرفها . . أحفظها جميعاً .

---

(١) لحن الشيالين . . لسيد درويش . .

** بعض لوازم الخياطة . . (زراير ، كبسول ، دانتيلا ، خرز) من شارع شارع فرنسا من أجل البنت (فايقه) - الخياطة الوحيدة بالعزبة - تعرف حكايات كثيرة . . مثلك يا ولد ! !

** بعض طلبات للبنات . . (روايح ، فازلين ، صبغة ، طلاء أظافر ، كحل) من عند (حسن العايق) - حتى أبحث لك عن عروسة بينهم كما زوجت خالك (الشبرو) من قبل . .

** طلبات محمد أبو عشاب (سجاثر هوليود - أمباسى - وينجز - البحارى - معدن ممتاز - كوتاريللى . . .) - عندنا أزمة فى الدخان النظيف .

. . . . . .

لم تمل المرأة من ترديد وسماع نفس القصص القديمة التى تملأ يومها خارج لحظات البيع والشراء . .

(الشبرو) لا ينصت . . لا يتكلم ، و (بوللى) يعرف الكثير . . لكنه يتصرف فى الحوار والحديث بنظام المقايضة . . حكاية من (الفلاحين) بحكاية من (العطارين) . .

. . . . . .

معظم المحلات على جانبى الشارع يملكها يهود ، يمارسون فيها أعمال الرهونات . . وتوجد على مسافات متباعدة بعض البارات والمقاهى لأجانب من جنسيات مختلفة . .

- السلام عليكم . . يا خواجه . .

يلقى التحية أمام محل الرهونات - وهو يجر العربة دون أن يلتفت ، فالأقدام لا تخطىء وقع الأماكن التى يتردد عليها - لعلها تجد طريقها إلى

الرجل الأحمر البدين . . المتورد الخدين ، والقابع تحت الخزانة الحديدية المملؤة بكنوز الدم . .

- الخواجة (العازر) . . أليس كذلك ؟ . . (تسأل المرأة) .

- يهودى . . حرامى . . تريدين رهان أى شىء ؟

ينفجر الولد غاضباً وهو يدفع العربة من الخلف ، وكالعادة فإن حديثهما لا يعنى (الشبرو) .

. . . . . .

فى الطريق من شارع أبن الخطاب إلى مكانها المألوف فى السوق مروراً بجامع سلطان . .

سردت المرأة للولد وقائع زواج (الشبرو) فى نفس الأماكن التى بدأت منها ، عند قهوة المشايخ . . سألته ذات يوم :

- لماذا لا تتزوج ؟ الأعمى يحتاج لمن يسحبه . .

تركنى إلى (المبولة) المقابلة . . ربما تبول على كلامى . . فقد عاد مسروراً . .

- لا أملك قوت يومى ! !

طول عهدى به . . أعرفه . . طيباً ، كتوماً . . لولا الخمر التى يتجرعها لكان له شأن آخر . .

- عندى عروستك . . حلوة . . مقطوعة من شجرة . .

هز رأسه . . لم يلتفت لى كما فعل أمام محل الرهونات . . جاءتنى أمك (زكية) فى السوق ، تتحرى الأمر . . قبلتنى قائلة :

- هو أيضاً مكسور الجناح . . لا أخ . . لا أخت . . ابن خالتنا . . تركت له نصف البيت الذى نسكنه . .

- سأحضر العروسة معي الخميس القادم . . أسمها (نظيرة) . .

- سنجهز لها بيتاً . . (قالت أمك زكية) .

وهنا تلفت (الشبرو) للخلف مبتسماً . . يبدو أن الحديث قد أصاب منه موطناً . . حرك كوامنه بعد سبع سنوات من الزواج . . ربما لا يدرى بعدها فى خمره . .

. . . . . .

فى الطريق من محطة مصر إلى مكانها المألوف مروراً بشوارع (ابن الخطاب) . . (جامع سلطان) . . (راغب باشا) . .

تحط أمام الساحة هناك . . تفرش أشياءها (جبن . . بيض . . سمن . . طيور) . . يقبل زبائنها . . يحسبون لمقدمها . . طيبة هذه المرأة . . تبيع لهم بالأجل أحياناً ، صارت العلاقات بينهم أسرية . . الثرثرة عندها أفضل من كنوز الأرض . . (والناس لبعضها) . .

. . . . . .

يركن عربته إلى الرصيف عن جوارها . . يسحب (زمبيلهُ) من أسفل العربة . . يخرج زجاجته الأثيرة ، يتجرع منها . . أوصى أهله أن يدفنوها معه إن حان الأجل . .

- حرام عليك يا رجل . . خمر على الريق ! !

ينظر إليها معاتباً . . يذكرها أنه ما زال على العهد الذى قطعه على نفسه منذ أن طلبت منه ذلك . .

- أنت حر . . هو كبدى اللى حايتخرم ولا كبدك . .

تعرف أنه لن يتكلم حتى تركب قطار العودة آخر النهار، ما هى الالحظات حتى ينزوى تحت العربة .. يغط فى نوم عميق كطفل برىء .. وهذا مايهم ،

كى يصحو فائقاً حتى لا تتكرر واقعة الانزلاق المشئومة فوق قضبان الترام . . . قد كان مخموراً ، عاتبها كل الناس الذين التفوا حولها ، يتلقفونها قبل مقدم الترام . . يرفعون أشياءها المبعثرة . . . (يجرك سكراناً . . يا أم الزبدة) . . يعقب أحدهم معاتباً ، ساخراً من فضلات الزبد التى تلطخ وجهها . .

أصبح اسم (زبدة) الفلاحة . . يميزها عن باقى الفلاحات بالسوق . . وعاد زبائنها ينادونها به بدلا من (فكيهة) الأبونيه . .

. . . . . .

. . . . . .

تأتى (نظيرة) - زوجة (الشبرو) - كعادتها كل يوم ، تحمل بقايا الأشياء التى لم تتمكن من بيعها . . تقدمها إلى خالتها (فكيهة) ، بعد أن تنحنى تقبل يدها . .

تنظر فى ازدراء ونفور إلى زوجها النائم تحت العربة ، ثم تفرش الأرض إلى جوارها . . تقدم لها بعض القروش . . التعريفة المخرومة . . الملاليم النحاسية الحمراء ، وقليل من القطع الفضية . .

- كيف أحوال زوجك يا بنت ؟
- كما ترين . . نائم دايماً يا خالة . .
- ربنا الهادى . . الصبر حلو . .

. . . . . .

(نظيرة) امرأة مدربة على الأعمال الشاقة . . خفيفة الحركة . . تأتى كل يوم إلى نفس المكان تبيع ما تبقى من بضاعة أيام السفر (كانت تبيع الذرة فى سوق العزبة من قبل) ، كثيراً ما تحجم النساء عن الشراء منها ..

يعرفن أنها ترفع الأسعار لصالحها . . لذا يفضلن تواجد (زبدة) على الفرش حتى يتفاهمن معها . . ويثرثرن أيضاً . .

. . . . . .

– معك ثلاث جنيهات . . ثلاثة ريال . .قوائم الأشياء المطلوبة . . وتعريفه من أجل الولد (إبراهيم) . . لا تتأخر . . أريد أن ألحق بقطار الثانية والثلث . . عندي واجب في القرية . . (تتكلم كثيراً هذه المرأة) .

– سأنتظر (إبراهيم) عند باب المدرسة . . ثم نذهب سوياً لشراء الطلبات ! !

كثيراً ما كان (بوللى) يعتمد على (إبراهيم) فى أمور الكتابة والقراءة التى يجهلها . . وكذلك يفعل معظم أصحاب الدكاكين من أهالى الحى . .

. . . . . .

– ست قطع جبنه (قريش) . . قرش صاغ ، ذكر البط . . ريال ونصف الريال ، عشرة قطع زبدة . . قرش صاغ . . وقطعتين من عندى ! !

– . . . لعن الله الحرب . . . متى ينتهى زمنها الغابر ؟

حتى تعود لنا أيامنا الخضراء . . ورخاؤنا الواسع ! !

. . . . . .

كالعادة تترك (زبدة) ربع الريال (فضة) من أجل (الشبرو) . .

(تحب جمع العملات الفضية . . والقروش المخرومة حتى تضفرها عقداً على صدرها) . . . ، نصف الفرنك للبنت (نظيرة) ، تعريفه للولد (بوللى) . . . ثم بعض القطع من الجبنة والزبدة ، وبعض البيض لوليمة المساء أمام البيت القديم . .

. . . . . .

. . . . . .

تركله بقدمها . . فيهب مفزوعاً . . يلملم بقاياه . .

- السوق انتهى . . قوم وصل خالتى .

تسحب ما تبقى من بضاعة إلى البيت القديم ، دون أن تزيد فى الكلام معه . .

ثم نظرة سريعة . . (زبدة) فوق العربة ، فى حضنها لفافة المشتروات (سجاير . . زراير . . روائح) .

(الشبرو) يشمر جلبابه . . و (بوللى) يستعد لدفع العربة ..

- مع السلامة يا خالتى . . سلمى على أهل العزبة . .

فايقة الخياطة . . البنت نبوية . . و (أم السيد) الحرامية !!!

. . . . . .

x x x

البيت القـــــديم . . .

(طلع النهار فتاح يا عليم
والجيب ما فيهش ولا مليم)[1] . .

. . . . . .

يخرج الرجلان صباح كل يوم (أبو الروس) ، يتبعه (الشبرو) فى الأيام التى لا يذهب فيها لاستقبال (زبدة) - تضمهما صلة القربى ، غرفة واحدة فى البيت القديم - كل يجر عربته فى طريقهما إلى المقهى للعمل عند الحاج (درويش) مقاول الرابش - مقاولة تلك المرة محصورة على معسكر (الطابية) ومعسكر (كامب شيزار) - حيث يقوم بتوزيعهما ضمن قافلة (الكارو) التى يشرف عليها لرفع المخلفات والقمامة من معسكرات الإنجليز الذين ينبهون دائماً بضرورة تجهيز جوانب (الكارو) و (عربات اليد) بصندوق خشبى ذى أركان عالية حتى لا تتبعثر الفضلات أثناء الدخول والخروج من طرقات المعسكر . .

على أن هناك فائدة أخرى لهذا الصندوق الخشبى ، حيث يدفن فى أحشائه ما يتم سرقته من المعسكر . .

والويل لمن يتم ضبطه ! !

(١) لحن الصنايعية . . سيد درويش .

لذلك كان يجبن (الشبرو) عن أخذ المعلبات ، والزجاجات المغلقة ، فقد كان يجمع بقايا الزجاجات الملقاة ، يفرغها فى (قارورته) حتى يملأها بخليط من خمور المعسكر . . . يعود بعدها غانماً بصيد ثمين ، لا يقدره سوى الرجال فى ليلهم . . وبالرغم من أنهم أقنعوه أكثر من مرة أن يتخلى عن أيامه التى يبددها سدى مع (زبدة) ويحرمهم خلالها من خبرته وخليط خموره ، لكنه يؤكد لهم دائماً ، إنه لن يتخلى عنها بخمور العالم كله :

- امرأة طيبة . . . أحبها .

. . . . . .

. . . . . .

كان (أبو الروس) يفرش جانب ناحية الشارع المتقاطعة مع شارعى (الخازن) . . يضع الصفائح الصغيرة ، المتوسطة الحجم . . بعض المعلبات المقفولة ، أخرى نصف المفتوحة من مخلفات المعسكرات الإنجليزية (الرابش) . . .

على أنه فى كثير من الأحيان كان يحجز المعلبات المغلقة والصفائح المقفولة التى لم تستخدم بعد من أجل بعض الخالات (أم إبراهيم . . أم هانم . . أم أمينة . . وغيرهن) الاتى يتعففن من الوقوف أم فرشه ، حتى لا تلوكهن الألسن ، خاصة وأن أولادهن وبناتهن على (وش زواج) . . وزيادة فى الحيطة فإنهن يحجبن الأطفال من النزول إلى الشارع فى هذا الوقت من اليوم . .

لكن الصغار يخترعون الحيلة للوصول إلى مآربهم ، فربما وجدوا ضالتهم المنشودة من حلوى أو فاكهة أو عصير فوق دكة (أبو الروس) . .

وكان (بوللى) يسبقهم جميعاً فى معرفة وتصنيف المعروض من (الرابش) والذى قد يغيب اسمه عن (أبو الروس) نفسه وتتساوى عنده الأشياء . . فيلجأ إليه ليقف معه على (الفرش) فى الأيام التى لا تفرش فيها (نظيرة) بقايا خالتها (زيده) الفلاحة ، على الناصية الأخرى للحارة .

– خوخ . . أناناس . . كمثرى . . هل عرفت أسماءها يا خال ؟

– كلها (مربى) . . يا ولد ! !

. . . . . .

. . . . . .

كل الرجال الكبار فى الحى أخوال الصغار .

وكل الأمهات الكبيرة خالات للجميع . .

. . . . . .

. . . . . .

كان الحاج (درويش) حريصاً على أن يدبر (للشبرو) عملاً بمعسكر (الطابية) ، وكان هذا يطربه كثيراً . . يعتقد فى نفسه أن جميع جنود المعسكر يعرفونه من كثرة ترددهم على البيت القديم . . ويخيل له فى خمره أنه يعرفهم جميعاً ، فما أن يصطدم بأحدهم فى إحدى الطرقات أو البوابات . . حتى يبرز (الباص) تصريحه :

– هاللو جونى . . (عزيزة) بتسلم عليك .

وبعدها لا يتكلم (الشبرو) . .

. . . . . .

(أبو الروس) يحب العمل فى المعسكرات البعيدة . . (فرصة السرقة أفضل) . . لا يعود أبداً خاوياً . . هناك يقطن كل الأجانب المرموقين ، الأمراء ، الأغنياء . . رجال الحكومات المنفية . .وهم يختلفون كثيراً عن الأجانب الذين يسكنون الحى . . (درجة ثالثة . . مثلنا) هكذا يردد . . فبعضهم يشترى منه المعلبات المقفولة خلسة . . (مقفولة . . مفتوحة . . كله رابش يا خواجه ! !) .

تم ضبطه . . جلده . . سجنه . . أبداً لم يرتعد . .

. . . . . .

يجنب (بوللى) بعض الأشياء - التى أوصته أم (إبراهيم) - تحت الدكة ، حتى ينتهى من تصريف فرش (الرابش) الذى يتركه له (أبوالروس).. لينام بعض الوقت حتى يتسنى له تمضية السهرة مع الرجال..

ذات مرة بينما كان الحاج (درويش) يعبر الشارع لمح (الرابش) المعروض سحب (أبو الروس) من خلف الدكة . . وأنهال يلطمه بقوة :

- يا حرامى . . يا بن الـ (كلب) ! !

انقطع الأهالى عن التعامل معه خوفاً من الشبهة واتهامهم بشراء أشياء مسروقة من الإنجليز . . كما هددهم الحاج (درويش) بصيحاته العالية ، وهو يوزع لطماته على وجه الرجل تحت سمعهم وبصرهم . .

لكنهما سرعان ما تصالحا . . واتفقا أن يأخذ الأخير نقلة (رابش) بدلا من أجره اليومى ، يقوم ببيعها . . (هو وحظه) . .

وعاد الأهالى إلى سيرتهم الأولى معه ، وكأن شيئاً لم يكن . .

. . . . . .

ترص (نظيرة) ما تبقى من بضاعة (زبده) على الحصيرة الصغيرة فوق الرصيف فى طرف الحارة الآخر ، بالقرب من مدخل البيت القديم . .

على أنها سرعان ما تحمل أشياءها قبل المغرب ، تطوف بيوت العائلات بالحى . . تعرف أحوالهم . . النساء لا يملكن سوى قوت اليوم ، والرجال يخرجون مع الشمس بحثاً عن عمل . . دون جدوى . .

- أبيع لكم بالأجل . . مقابل قرش صاغ زيادة للجبن والزبد والبيض . . ربع الريال زيادة مقابل الزفر (بط . . أوز . . دجاج) ! !

ولأن الفراغ فى البطون لا يكاد يمتلىء حتى يعود سيرته . . تجدهم يرضخون لشروطها ، كما رضخوا للمرابين - الذين يملأون كل البلد - من قبل تحت العوز والحاجة . .

. . . . . .

. . . . . .

نساء الحى لا يخطئن فى المواقيت أبداً ، يعرفنها من نداءات الباعة الجائلين التى لا تنقطع من الشارع طول اليوم . .

لم يعدن فى حاجة إلى الساعات لمعرفة الوقت . . حتى إذا ألمت ضائقة مالية بإحداهن فإن أول ما تفكر فيه هو رفع الساعة الحائطية - إن كانت هناك ساعة - وتنادى (بوللى) من فورها :

- خذها إلى (العازر) . . أو (داود) اللئيم . .

- أقسم أنها لن تعود ! !

- مالك أنت سوى (التعريفة) المعهودة . . ستفرج غداً بإذن الله . .

(يحلم كثيراً أهل الحى) . . هكذا قال الأستاذ ذات مساء . .

. . . . . .

. . . . . .

يجتمع الرجال كالعادة . . يفرشون حصيرة المساء أمام البيت القديم . .
كل يأخذ مكانه المعهود من مجلس الأستاذ (على) - ذو لحية طويلة . .
عيناه تفضح شبابه . . يسكن عندهم ، منذ سنوات لم يزره أى إنسان . .
يدخل ويخرج . . يثير الشكوك حوله - الذى يتوسطهم . .

بعضهم يحتسى الشاى ، آخر يتجرع خمراً . . وثالث يدخن الحشيش . .

ينصتون إليه بعيونهم نصف المفتوحة . . يحاولون فهم ما يقول . . أمور كثيرة لا تستوعبها مراكز الإدراك فى رءوسهم . . يرثى لهم . .

بينما ينزوى (الشبرو) ، ينصت إلى حكايات الليل من تحت عربته القريبة من مجلسهم ، تحجب عنه الضوء القادم من اللمبات الكهربائية التى قامت الحكومة بتركيبها على نواصى الشوارع ، بدلا من الفوانيس الغازية التى كان يشعلها (عفريت الليل) كل مساء . . يزفه الصغار ، يطوفون خلفه فرحين حتى إذا انتهى من عمله ركن إلى مجلسهم . . يضحكهم كثيراً ، كان خفيف الظل . . يرددون أنه مات حسرة وكمداً بعد أن أخذت الحكومة عمله . . من يومها ازداد كره (الشبرو) للأومباشى (عبد ربه) الذى كثيراً ما يحجزه فى (الكركون) وهو مخمور لا يحس بما يدور حوله . . لا يطلق سراحه إلا عندما تأتيه (نظيرة) بوجبة عشاء أو تدس فى يده (نصف الفرنك) . .

. . . . . .

- . . . لقد تم افتتاح موسم السباق (بسموحة) صباح اليوم . .

وفاز الجواد (معزوز) لصاحبه مسيو (سرباكس) بعشرة آلاف جنيه . .
وأنتم لا تملكون جميعاً عشرة قروش ! ! !

- . . والله يا أستاذ ما عندى خبر !

{ يتحسر (حسن زبيبه) بلغة الخبير الفاهم } . .

- . . حظه حلو يا أستاذ .. نحن نشترى أوراق اليانصيب من (داود) اللئيم و (ماريكا) المجنونة منذ أكثر من عشر سنوات . . لم يكسب أحدنا أبداً .. حظنا وحش .. الفقر وراءنا فى كل مكان .. يقول (أبو الروس) ..

. . . . . .

- يقولون أن بعض الدول الأجنبية احتجت على محاولة الحكومة إصدار قانون تشغيل الأجانب ووصفته بأنه قانون مرتجل ، قصد به عرقلة نشاط الأجانب . .

- . . معهم حق . . { يقول (داود) اللئيم } .

- . . أعرف هويتك يا رجل . . وما ترمى إليه ! ! { يرد الأستاذ }

- . . من أين تأتى بكل تلك الحكايات العجيبة ، التى ترددها على مسامعنا كل يوم يا أستاذ ؟

- . . . مما أقرأه وأسمعه ! !

- لكنك تعرف الكثير من الأسرار ؟

- . . جميع الناس يعرفون كل شىء . . لكنكم تعيشون فى عالم آخر .. مثل (الملك) يعربد والألمان فى الطريق . .

- . . كلامك كله حكم يا أستاذ ! ! !

يقول (حسن زبيبة) كبيرهم . . وهو شارد الذهن بعينين (فارغتين) وكأنه لا يسمع شيئاً مما يقال . .

ويلتفت (الأستاذ) إلى شخيرهم حوله ، يصدع أركان الليل . . كلهم نائمون . . بصق تحت أقدامه حسرة على كلماته التى تذرو بها الريح . . رفع رأسه إلى السماء (يارب . . أيقظهم) ! !

- ٣ -

السفر الأول من حكاية (داود) . .

يمكنك أن تعرفه بسهولة بالغة من القبعة البالية ذات النجمة السداسية المطموسة ، حتى إن قدر له أن يرفعها من فوق رأسه سيصعب عليك التمييز بينه وبين أى من رجال البيت القديم ، الذين يقطن معهم منذ زمن بعيد . .

كان يطوف صباح كل يوم إلى محلات الحى يحمل تحت أبطه مجموعة من الجرائد ، المجلات ، النشرات اليهودية . . يتسلمها من النادى اليهودى[1] يوزعها على أبناء الجالية فى دائرة اختصاصه بالعطارين . . هكذا كانت تقضى الأوامر الصادرة إليه من مجلس الطائفة الإسرائيلية . . . على أنه لامانع من أن يوزع لغير أبناء الجالية - من العامة - أوراق (اليانصيب) التى تصدرها جمعية نقطة اللبن ، وجمعيات الجالية الأخرى . . جميع الأوراق تحمل النجمة السداسية برغم اختلاف التصميم والقطع . .

وما أن يفرغ من بيع أوراقه إلى المعلمين (أصحاب الدكاكين) ، وبعض الصبيان ممن يحلمون حتى يرتد عائداً إلى النادى ، يضع نفسه تحت تصرف رئاسة الطائفة خادماً ، أميناً ، مطيعاً . .

. . . . . .

. . . . . .

---

(١) - كان يقع بشارع النبى دانيال رقم ٥٤ - لا مكان لهذا الرقم فى خريطة الشارع حالياً .

- هربنا من الاضطهاد هناك . . جئنا إلى ملجأ يكفل لنا إمكانية التطور وحرية العمل . . كما كانت تقول رسائلهم لنا . .

هكذا كان يردد لليهود المهاجرين معه على نفس السفينة التى رست بهم على هذا الشاطىء الآمن .

جاءوا من أماكن بعيدة ، روسيا ، رومانيا ، اليمن ، تركيا . . وجاء وسط مئات الفارين من فلسطين . .

استقبلتهم (لجنة أغاثة المهاجرين) - التى تشكلت من كبار الرأسماليين من أبناء الطائفة اليهودية بمصر - لتنظيم إقامتهم فى (معسكرات التحرير)[1] بمنطقة القبارى .

كان يعيش بين ألفى شخص يتكلمون أربع عشرة لغة مختلفة ويستخدمون اللغة العبرية وسيلة للتفاهم بينهم . .

أقاموا شعائرهم بحرية ، بنوا معبداً ، مستشفى ، ومدارس لأبنائهم فى القبارى والمغروزة والورديان . .

وحين ازداد عدد المهاجرين سارع رئيس الطائفة الإسرائيلية[2] بالسفر إلى القاهرة حيث قابل السلطان[3] ، الذى أبدى من جانبه عطفاً شديداً على اللاجئين . .

بعدها بادرت الحكومة باتخاذ إجراءات سريعة لاستضافتهم وتنظيم عملية الغوث لهم . .

---

(١) هكذا كانوا يسمون المعسكرات التى تضمهم .. مجلة (مصر الإسرائيلية فى ١٩١٥/١/٣١) ..

(٢) (أدجار سناويرس) فى ذلك الوقت . .

(٣) السلطان / حسين كامل . .

وفتحت لهم مناطق القبارى والبلدية فى الشاطبى ومبنى الحجر الصحى . . وكذلك وضعت محطة الورديان ودار المحافظة فى رأس التين وغيرها من الأماكن الحكومية تحت تصرفهم . .

. . . . . .

. . . . . .

معالى دولة الباشا[1]

رئيس مجلس الوزراء

تحية امتنان وتقدير

. . . (لقد أثبتم مرة أخرى تحرر هذا البلد وضيافته الكريمة ، وإن طائفتنا لعلى ثقة فى هذه المناسبة بأنها تعبر عن عرفان يهود العالم للحكومة المصرية على الإجراءات السريعة الفعالة التى اتخذتها لمساعدة هؤلاء المطرودين البؤساء) .

رئيس الطائفة الإسرائيلية

مدينة الإسكندرية

. . . . . .

. . . . . .

تم تعيينه حارساً للمدرسة العبرية بحى العطارين . .

- . . (راشيل) فتاة طيبة . . فقدت أهلها هناك . .

يجب أن تحبها وترعاها كما علمناك من قبل . .

---

(١) حسين رشدى باشا . . (فى ذلك الوقت) .

لم يملك (داود) إلا أن ينحنى على يد الحاخام الأكبر بعد أن بارك زواجه فى معبد (الياهو حنابى)[1] . . .

ولما كان عليهما أن يفسحا مكانهما فى المعسكر بأسرع ما يمكن ليستقبل لاجئين جدد غيرهما . . لذا فقد خرج وزوجته يبحثان عن مأوى يضمهما ، قريباً ما أمكن من مقر عملهما . .

- كانت (راشيل) تعمل فى (جمعية نقطة اللبن)[2] - حيث استقر بهما المقام إلى أن حطا بالبيت القديم . .

- . . هنا يمكننا أن ندبر القروش والملاليم . . نخبىء أحلامنا للزمن القادم .

- . . حقا يا (راشيل) . . لن أغمض عينى قبل أن أضم الحلم إلى صدرى .

. . . . . .

. . . . . .

تعوّد أن يترك النادى فى تمام الرابعة والنصف ، بعد أن يعلن مندوبو الجمعيات أرقام الأوراق الفائزة . . فيتلقفها مسرعاً إلى الحى . . يصرخ إلى زبائنه بنتيجة السحب على (اليانصيب) . . يحفظ كل الأرقام التى يبيعها ، يمكن أن يحدد أسماء الفائزين ، يهرع إليهم . .

إنهم يتنتظرونه أمام محلاتهم . . يحتسون الشاى فى إنتظار مقدمه (ينهون أعمالهم فى الرابعـة) . . يحلمون به يزف إليهم أخبار السحب

(١) من أقدم المعابد اليهودية بالإسكندرية وأعيد بناؤه عام ١٨٥٠ م .

(٢) تقدم وجبة إفطار لطلبة المدارس الإسرائيلية وكذا معونات مالية وإعالة وتبنى التلاميذ اليتامى .

الكبير ، حتى إذا أتت الساعة السادسة ، يجمعون حاجاتهم ، يغلقون أبوابهم . .

- . . لا داعى للإنتظار . . إنه لن يعود . . فقد خذلته أوراقه وخذلتكم أيضاً . .

يهرب إلى (العازر) - رئيسه القديم في (المكابى)[1] - فى شارع ابن الخطاب ، يجلس معه ، يقص عليه أخبار يومه ، حظه العاثر كالعادة ، ثم ينتظر حتى يعاونه فى إغلاق المحل بالقضبان الحديدية والأقفال الكثيرة حتى لايضيع الكنز الذى ينام بداخله ، فالناس تحت العوز والحاجة ، يفعلون أى شىء . . ناهيك عن أولئك الذين يتباكون دوماً - كلما طافوا حول المحل - على ما أودعوه من شقاء العمر رهناً لظرف قاهر يمر بهم .

- . . عند الجوع يفكر الفقراء ببطونهم . . عندها يمكنك أن تساومهم على كل شىء . . نعم . . كل شىء . .

قال له (العازر) ذات يوم وهو يلقنه طقوس البقاء الطفيلية حتى أمسى (داود) محل رهونات متنقل ، يبدأ بعد الثامنة مساءاً ، كما يقضى الاتفاق المبرم مع (العازر) :

- يمكنك أن تتعامل فى بعض الرهونات الصغيرة لصالحك . . أما الصفقات الكبيرة فهى من أجل المحل . . والحلم الكبير هناك . . أم تريد للإنجليز والشوام ، واليونانيين ، وباقى الجاليات أن يسبقونا إلى خير هذا البلد . . ثم من أين لنا أن نسدد الـ (أريخا)[2] المطلوبة .

---

(١) الاتحاد اليهودى الرياضى والأدبى . . تشكّل فى الاسكندرية ، ساهم فى إنشائها (سلفاتور شيكوريل) بك .

(٢) ضريبة شخصية حددها مجلس الطائفة الإسرائيلية . . تفرض على اليهود القادرين . .

يسرع إلى غرفته الكبيرة الواسعة التى تتكدس بهموم التعساء وشقائهم، يفسح لنفسه شريطاً ضيقاً بين حاجاتهم المرهونة عنده ، ينام فيه .. يغيّر موضعه كل يوم ، يحسب لمحاولة سرقته أو اغتياله ، يعرف أنهم يكرهونه ملء قلوبهم وبالرغم من ذلك يهرعون إليه تحت الابتسامات الميتة.. يريدون وده . .

- . . مصيبتى أنى أحبكم . . لا أستطيع أن أعيش بدونكم . . أو أرد لكم طلباً . . أقرضكم من لحمى الحىّ . .

هل تذكروننى فى طبق مما تأكلون ؟

. . . . . .

- . . غلبان (داود) اللئيم . . لا زوجة له ، ولا ولد ، ولا (وابور جاز) . . من يطبخ له ؟

تقول كل امرأة فى الحى عندما تبعث إليه بطبق من أكلها ، بينما تمصمص باقى النساء شفاههن ، وتلوك ألسنتهن بالحقيقة النائمة فى جوف الليل . .

- لا شك أنها اقترضت منه بالأمس .

- فلوسى حبيبتى . . يأكلونك فى كروشهم . . ثم يقذفونك إلى البالوعات . . قاتلهم الله . .

(يقول وهو يقبل الطبق الوافد إليه) . .

. . . . . .

كان (الشبرو) هو الشخص الوحيد فى الوجود الذى يتمتع بثقة (داود) اللئيم ، يدخله حجرته ، يعرف أنه لا يسرق .. ولا يحب السرقة ،

يأكل قليلا أو قد لا يأكل بالمرة إذا دعاه كذباً لمشاركته على أى من أطباق الأكل الكثيرة التى كانت تتعفن داخل الغرفة . . شىء واحد يحبها (الشبرو) . الخمر وهى الشىء الوحيد الذى لا يتعامل معها (داود) فى حجرته . . فلم الخوف ؟ .

أضف إلى ذلك تلك القراريط التى ورثها عن أمه فى البيت القديم . . لذا كثيراً ما ذهب (داود) إلى (الكركون) لضمان (الشبرو) فى الأيام التى تخذله فيها (نظيرة) زوجته . . يحاور الأومباشى (عبد ربه) :

- . . أنا من الطائفة الإسرائيلية . . يعنى حماية . . يمكننى أن أسبب لك حرجاً . . دعنا نتساوم . . وأترك الرجل . .

- . . لا أفهم يا عم (داود) . .

{ يقول تحت الخوف والرهبة من كلمة الحماية التى رددها على مسمعه }

- خذ نصف الفرنك . . وأتركه . . وإن سألك فى يقظته قل له : أننى دفعت له الكفالة المطلوبة . . حتى لا أفضح أمرك عند رؤسائك . .

- هو لا يفعل . . لا يسأل أبداً عن أى شىء . . لكن رفقاً به فعظامه طريّة لا تستحمل أسنانك . .

{ يبتسم الرجل فى خبث وهو يجر (الشبرو) خلفه } . .

. . . . . .

. . . . . .

* * *

من حكايات الليل . . .

- مبروك . . يا (أبو الروس) .

- مبروك عليك أنت يا (لئيم).. لقد اشتريت قراريطى بثمن بخس .. كما فعلت من قبل مع أهل البيت القديم . . جئتنا متسولا ، نضمك بيننا .. أكلتنا . .

- يبقى (الشبرو) . .

- لا تحلم كثيراً . . لن يبيع . . يحب رائحة أمه .

- سأنتظره حتى يتعثر فى الخمر والزمن . .

. . . . . .

يجلس (أبو الروس) إلى عائلة البيت القديم - فى غياب الأستاذ - بعد أن أكلوا واحتسوا الشاى . . تضمهم حصيرة المساء - كالعادة - تجلس (زكية) و (نظيرة) بينهم . . يحبون نوادره . . ينصتون إلى المقالب التى يدبرها (للشبرو) وغيره . . يضحكون . . ويضحكون . .

كثيراً ما يركن إلى مجلسهم عساكر الدورية الليلية بحجة أنهم يتممون على (عباس) ، ويطمئنون على تواجده وسلوكه بالرغم من أنه ينزل فى سجن (الحضرة) منذ شهور بعيدة . . فيردد (أبو الروس) على مسمعهم :

- عندما ذهبنا بالأمس لزيارة (عباس) فى السجن . . منعنا العساكر من الدخول . . فوقفنا ناحية قضبان السكة الحديد . . . نصرخ إليه . .

تطل علينا وجوه كثيرة متزاحمة من الطاقة الصغيرة . . لا نستطيع تمييزه بينهم . . قلت (للشبرو) أعطنى الكيس الذى معك - أقتين موز . . (عباس) يحب الموز - وأعطنى قرش صاغ أدسه فى يد حارس البوابة حتى يسرب الكيس إلى (عباس) فى الداخل ، فعل ما طلبته منه فانصرفت من أمامه - أعرف أنه يخاف من العساكر ويكرههم وأنه لن يأتى معى - عندما عدت إليه قال لى أنه سمع صوتاً يناديه . . فلوح بيده فى كل اتجاه ، لكل الأيادى المطلة إليه من وراء القضبان . . ففعلت مثله ، وهللنا لهم . . ثم إنصرفنا عائدين إلى البيت .. الذى لا يعرفه (الشبرو) أننى أكلت الموز وحدى ، ووضعت القرش فى جيبى . .

- . . أخصّ عليك راجل ناقص . .

{ يقول (الشبرو) ضاحكا من تحت العربة ، ويضج الجميع بالضحك ، يملأون ليلهم . . }

- رحم الله أباك . . كنت أذهب معه إلى المطعم اليونانى فى آخر الشارع . . نجمع أوراق الخس التى يلقون بها هناك . . وأيضاً كنا نحضر البرتقال العطن ونقطع منه الأجزاء السليمة لنأكلها . . كنا نأكل الزبالة ، وأنت تأكل أقتين موز . . آه يا وغد ! !

يقول (حسن زبيبة) وهو كاظم الغيظ إلى (أبو الروس) . .

- أحك لنا يا خال . . عندما ذهبت إلى البحر . .

يقول (بوللى) . . فيضحك الجميع على تلك الواقعة التى لم يسردها عليهم منذ مدة طويلة . .

- . . كانت المرة الأولى والأخيرة التى ننزل فيها إلى ماء البحر فى (المينا الشرقية) . . أجرنا مايوهين . . تركنا ملابسنا على الرمال أمام

أعيننا . . غطسنا وخرجنا لم نجد أثراً لها . . صرخنا . . قال لنا صاحب المايوهات : يمكنكما الاحتفاظ بهما لستر عوراتكما . . ففعلنا . . ودخلنا الحى بالمايوهات تحت زفة الصغار والكبار . .

– . . . لقد فعلها (الشبرو) مرة أخرى . . قبل أن يتزوج . . رفضت أمه أن تعطيه نقوداً حتى لا يشرب الخمر . . خرج بـ (قفطان) جديد ، وعاد مخموراً بلباسه الداخلى . .خرجت مع خالتى إلى محل (العازر) حيث اعتاد أن يرهن ملابسه . . أحضرنا (القفطان) بعد أن دفعنا قرشين. .

– . . . عيب عليك يا (زكية) ! !

يعاتبها (الشبرو) من مكمنه وقلبه يرقص طرباً لأنها مازالت تذكر أيامه الصغيرة ، كان يريد أن يقول لها : (من أجلك أنت هربت إلى الخمر) . . لكنه لم يفعل . .

. . . . . .

كان (أبو الروس) يروى لهم ذكرياته الكثيرة . . شذرات من هنا وهناك بقدر ما يسعفه عقله المتواضع . . يعبد الماضى وكأنه واقع الآن ، حتى إذا أفلس طلب من (بوللى) رواية بعض الأفلام التى شاهدها أخيراً – كان الصغير مولعاً بالسينما . . يحبها ويصحب معه (إبراهيم) على نفقته دائماً إلى سينما الحى (الدورادو) . . يقرأ له الترجمة ، وما يقوله (طرزان) ، (زورو) ، (شازام) – وكثيراً ما يقتبس (أبو الروس) بعض المغامرات ينسبها إلى نفسه فى سهرة أخرى . .

– أحك لنا يا ولد . . فيلم (المعلم بحبح) أو (نشيد الأمل) . .

- . . لا . . بل أحك لنا . . فيلم (شالوم الترجمان) . . أو (شالوم الرياضى) . .

- . . أنا لا أحب أفلامكم . . سأحكى لكم . .

. . . . . .

فى منتصف الليل يأتى (الياس) ، يصحب (الشبرو) معه . . ينقلان (صاجات) الحلوى إلى (الفرن) ، حتى تكون طازجة وجاهزة للزبائن فى الصباح . .

. . . . . .

كان (المرعوش) يجلس إليهم ، يشاركهم السهرة . . رجل ضرير . . يسكن الغرفة المجاورة لغرفة (عزيزة وعباس) ، لا يحفظ سوى سورة (الرحمن) ، يرددها فى كل المناسبات الفقيرة وفى الأعياد والخمسان . . يعود إليهم بالرحمة والنور (قرص ، بلح ، برتقال ، . . .) .

كم كان يحلو ويروق لهم مداعبته بأن ينبش أحدهم بأصبعه فوق (جسده) فى حركة خاطفة . . فيهب مفزوعاً ومرعوشاً - سمى المرعوش لذلك - مردداً بصوته الجهورى (الله حى ! !) . .

ولقد بلغت حساسيته للأصبع الخاطفة أنه يستطيع تحديد الفاعل منهم :

- أصبعك غليظ . . يا عم حسن . .

فيهلل الحاضرون لفطنته ويضحكون أكثر عندما يغمزون لها ، فينطلق أصبعها فى حركة خاطفة . .

- قلت لك عيب يا بنت يا (زكية) ! !

يضحكون . . ويحتسون الشاى مرة أخرى ..

* * *

(لوسيان) . . غزال الشام . .

غــزال الشـــام
والله يا مـــــالى . .
طــال المطـــال
يا حــلوة تعــالى . .

كانت تتسلى بالنظرات ، الابتسامات التى يرميها أبناء الحى الطيبون ، يتابعون خطواتها الواثقة ، جسمها المشوق . . تخترق شارعهم الصغير ، يلقفها للشارع الكبير (العطارين) .

تعبر (بياصة) الشوام . يقف عند مدخلها (ألياس) - شقيقها - خلف عربة بيع (حلويات شرقية) . . تلوح له ، ترد التحية إلى كل الأيادى التى هبت لها ، تعرفهم جميعاً . . يقفون وصبيانهم إلى واجهات محلاتهم ذات الألوان المختلفة التى تحدد مهنة وهوية أصحابها[1] . .

يقف عبده (أرمن) - نسبة إلى الأرمن الذين عمل معهم - يسند جسمه الممتلىء إلى الواجهة السوداء - الديكور المميز لدكاكين (الساعاتية) فى ذلك الوقت - يبتسم لها فى أمل موءود . .

يقف سعد (الألبانى) و محمود (بلغاريا) - نسبة إلى جنس الجاليات التى عملا عندها من قبل - أمام الواجهة البيضاء والتى كانت

(١) مازالت ديكورات بعض هذه الدكاكين قائمة حتى الآن بشارع (العطارين) على جانبى بياصة الشوام . . .

لدكاكين بيع الألبان ومشتقاتها . . يصرخان . . يلوحان لها . . (نهارك حليب يا قشطة) . .

تضحك . . يضحكون . . جميعهم يريدون ودها . . يحلمون بها . .

تعبر تقاطع شارع (عبد المنعم) مع (العطارين) . . تلتفت ناحية دكان الناصية ذات الواجهة الحمراء القانية - الديكور المميز لدكاكين بيع الدخان - تتأمله ملياً . . تتخيّل الركن الذى كان يجلس إليه شاعرها[1] فى الماضى البعيد . . كثيراً ما تحفظ له ، تتابع أشعاره على صفحات المقطم . . المقتطف . . الأهرام . . والصحف والمجلات التى تصدرها الجالية الشامية فى مصر . .

(كيف جئت ؟

كيف أبصرت طريقى ؟

لست أدرى . .) . .

تعبر تقاطع شارع (الليثى)[2] مع (العطارين) فى خطى سريعة حتى لا تصطدم عيناها مع عينيه الوقحتين اللتين تطاردانها فى حماقة تخدشها ، تشيّعها إلى مكان عملها فى محل الخردوات الكبير أمام مسجد (العطارين) . . تمنت لو تستطيع أن تبصق فى وجهه ذات يوم . .

تركن خلف الآلة الحاسبة . . تستقبل قروش الزبائن وملاليمهم ، يسددونها إليها . . . تطبع ختم (الخلاص) فوق (البونات) . . يأخذون حاجاتهم . . يفرشون الابتسامات فوق الوجوه وهم منصرفون . . يحملقون فى وجهها الجميل ، يتفرسونها . .يودعونها . . تستقبل غيرهم . .

---

(١) الشاعر إيليا أبو ماضى . . كان يعمل مع أخيه فى هذا الدكان ..

(٢) مازال قائماً يموج بمحلات التحف والأنتيكات من بقايا زمن الرواية . .

. . . . . .

علمتنى مدام (فابر) - صاحبة المحل - كيف أهرس تحت أقدامى كل المضايقات السخيفة التى يقذفونها فى وجهى ، دون أن أخدش مشاعرهم ، بل أمسح بابتسامتى فوق صدورهم . .

- دعونا نراكم مرة أخرى فى القريب . .

. . . . . .

ذات يوم دخل (موريس) - صاحب محل تحف وأنتيكات بشارع (الليثى) . .قضى عمره كله فى أعمال الروبابيكيا والرابش - يطاردنى ، يغازلنى فى وقاحته المعهودة ، تلك التى جاوزت هذا الصباح حداً جعل الشرخ يمتد فى جدرانى ، يزلزلنى . . فانفجرت باكية . .

بينما يقضم فى وحشية قطعة (الكيك) فى يده ، يلوح بها فى وجهى.. أعرف أنها من صنع أمى . . ذهب لشرائها من حيث يقبع أخى (الياس) عند مدخل (بياصة الشوام) . . يطارده من جديد . .

كان أخى يركن عربته من قبل عند ناصية (الليثى) مع (العطارين) . . يتلقف رزقه ، لكنه ترك المكان - تحت التواجد اليومى الغبى لهذا الجلف الذى يطاردنا دوماً - هرب إلى حيث يمكن أن يستمد القوة من وجود بعض الأهالى والعشيرة من حوله . .

- . . أنت لى . . أحفرى هذا فى رأسك . .

- . . لم نهرب من الموت هناك لنسلمه رقابنا هنا ! !

خلع طربوشه فى غضب ، ألقاه أرضاً ، أخذ يركله ويهرسه تحت أقدامه فى عصبية بالغة وهو يهذى :

- . . هكذا سيكون مصير كل الشوام بالسوق . . إن لم يحسموا أمرنا . .

- ، . هذا شأنك معهم . . أما أنا . . لا . .

. . . . . .

. . . . . .

أحببت هذا الحى كثيراً ، ناسه طيبون ، بسطاء ، يعيشون يومهم ينحتون الصخر من أجل البقاء ، حتى إذا حل المساء نسوا شقاءهم وعذابهم فى أمسياتهم المرحة الجميلة أمام البيت القديم . .

تمنيت أن أركن إليهم ذات يوم . . . لكن عزائى أن (زكية) سوف تأتى صباح الأحد . . تحكى لى كل الأخبار . . تثرثر كثيراً وهى تنشر الغسيل فوق السطوح بجوار مسكننا . . تجلس تحت الشمس ، ترقبه حتى ينشف . . هكذا تفعل منذ أن سرق (عباس) غسيلها ذات يوم . .

- حرامى غسيل (وسخ) . . لا يرعى أصول الجيرة عند الجوع . ذات مرة انتهزت فرصة نوم (حسين) زوجى عارياً . .أغلقت عليه الغرفة . . غسلت كل ملابسه ، نشرتها على السطوح قبل مجيئكم إلينا . . . وعندما عدت لجمعها . . لم أجدها . . سرقها والحبال معها . .أخذت أبحث عنه . . لا أثر له . . . لطمت (عزيزة) زوجته . . صرخت فى وجهى . . عندك البوليس . . تريد العاهرة السجن له حتى يخلو لها الجو مع الإنجليز . . لكنى لم أفعل . . ذهبت إلى الحاج (درويش) أبكى إليه . . اصطحبنى معه إلى (بياصة الشوام) . . سأل أحدهم . . أين الغسيل ؟ . . . أخبره من فوره بمكانه . . عدنا به مبلولا . . وزوجى ما زال نائماً . .

- تعنى أنهم خافوا الرجل ؟

- . . من فى (العطارين) يجروء أن يرفع حاجبه فى حضوره . .

- خذينى إليه . . يمنع عنى ذلك الوغد الذى يطاردنى دوماً . .

. . . . . .

لقد استطاع الحاج (درويش) أن يصفع (موريس) - قد كان صبيه ذات يوم - ويسبه ، يلعنه ، يتوعده لو أعترض طريقى ذات مرة . . . ولكنى قرأت الشر فى عينيه يتوعدنى ، فآثرت ألا أذهب للعمل فى دكان مدام (فابر) . .

. . . . . .

- هل نسيت أننا نوفر القروش من أجل (أمريكا) . .

- أعرف يا أمى . . وسوف أبحث عن عمل مرة أخرى . .

- . . . لقد رحب (كوستا) بأن تعملى معه بالكازينو . .

- لا مانع عندى . . بل يسعدنى ذلك كثيراً ! !

. . . . . .

* * مازالت (ماريكا) تحلم بعودة (خريستو) . . يقولون مات فى الحرب . . كلنا يعرف ذلك . . وحدها تنتظره .

. . . . . .

* * ونعرف أيضا أنك تهيمين حباً فى (يورغو) . . تنتظرينه فوق السطوح صباح كل يوم . . لعله يحس بك . . لكنه لم يفعل حتى الآن . . هناك آخرون يحبونك فى الحى وينتظرونك كل لحظة . . لكنك لا تعرفين . .

. . . . . .

** إنه رجل سيء ، يقرض الجنيه بأثنين . . ومن الذى يجروء على ألا يدفع فى الميعاد المحدد . . اشترى قراريطنا فى البيت . . لم يفلح مع (الشبرو) . .

. . . . . .

** أحببت طيبته ، اتخذته أخاً . . كان يتمنى أن يتزوجنى ، هكذا قالت لى أمه قبل رحيلها . . كنت أحلم . . شرخت قلبه . . لكننى زوجته (نظيرة) . . ما زلت أرعاه . . . (الشبرو) أخى . .

. . . . . .

** امرأة طيبة . . تعيش على ما يرسله لها الأهل ، منذ وفاة زوجها . . تعلم ابنها (إبراهيم) فى المدارس . . رفضت الزواج من أجله . . تطرز مناديل الرأس بالخرز والترتر (المدورات) . . تسلمها إلى (أم الحظ) . . لتبيعها إلى النساء المترددات على الحمام . .

. . . . . .

** لا نعرف سوى أن اسمه الأستاذ (على) . . الله وحده أعلم بالحقيقة . . من أين جاء ؟ ولماذا جاء ؟ . . . طيب ، وقور ، متعلم ابن ناس . . هكذا تقول نبرات صوته . .يتأملنا كثيراً . . يكاد يرثى لحالنا . . يحب كل الفقراء . . يكره الإنجليز والملك . .

. . . . . .

كنت أحب حكايات (زكية) صباح كل أحد فوق السطوح . .

. . . . . .

. . . . . .

سرحت ذات يوم - عندما كنت أعمل عند مدام (فابر) - أتأمل تلك النقوش التى تزخرف جامع (العطارين)[1] المقابل للدكان . .

لم أنتبه إلا عندما ربتت الأصابع الرقيقة فوق كتفى . . كانت لراهبة تشترى دائماً من الدكان . .

- معذرة يا أخت . . كنت أتأمل ..

- . . هل تعلمين بأنه يقوم على أساس كنيسة القديس (أثناسيوس).. يجب على الأخت (لوسيان) أن تقرأ طويلاً لتفهم أكثر . .

(تقول وهى تنظر إلى الصليب الذى يتدلى فوق صدرى) ..

. . . . . .

. . . . . .

كنت أحب حكايات قبل النوم تلك التى تبعثرها أمى - تحفظها عن جدتها - كل مساء . . تكنس الكابوس الجاثم فوق صدرى . . تملأ عشنا الصغير بأخبار الشوام فى مصر . . فننام ملء قلوبنا . . نحلم من جديد . . فخيوط الأمل لم تنقطع بعد . .

- . . لكن لماذا تركنا (سوريا) يا أمى ؟

يسألها (الياس) الذى يتمدد فى فراشه بالركن القصىّ من الحجرة .. يسترق السمع ، نضحك ملء قلوبنا . . كنا نعتقد أنه يسبح مع الملائكة . .

- . . . حملنا (جدك) ، هارباً من الاضطهادات التى قامت هناك بين الطوائف المسيحية . . يحطنا هنا . .

---

(١) عرف بجامع الجيوشى من قبل نسبة إلى أمير الجيوش (بدر الجمالى) . . . ثم بجامع العطارين بسبب وجوده فى سوق العطارين . .

- . . ولماذا الإسكندرية دون غيرها ؟

{ يستطرد الياس } . .

- . . . كانت أقرب البلاد لشواطئنا وأوسعها صدراً فى ضيافتنا . . وأكثرها أمناً وطمأنينة . . وأحفلها رزقاً . .

- . . . ولماذا (العطارين) ؟

- . . . (الياس) يمكنك أن تسعد بأحلام هانئة . . ننام الآن ! !

. . . . . .

. . . . . .

***

- ٦ -

من حكايات البيت القديم ..

- أبى ينتظرك عند (بياصة) الشوام ..

- سأذهب .. يا (بوللى) ..

لم تحسب (عزيزة) أن اللقب الذى أطلقته على (شعبان) الصغير - أمام الصغار فى الحى - سوف يطارده أبدا .. ما ذنبه ؟ .. فقط كانت تريد الإنتقام من أمه وأبيه .

- زكية وحسين - صاحبى أشهر قصة حب فى الحى .. ما زالت تتردد حتى الآن ..

كان (حسين) يطوف حول البيت القديم راكبا دراجته .. يضغط على منفاخها - عندما يركن تحت شباك (زكية) - ذات الصوت الغليظ المميز .. يعرفه كل الحى عند سماعه ، يعرفون أنه قد وصل يناجى محبوبته .. وأن الساعة الآن تمام السابعة لا تزيد ولاتنقص دقيقة ، بالرغم من أنه لايملك ساعة فى يده ، وهم كذلك . .لا يملكون .. ذات يوم حضر بالمنفاخ فقط .. ضغط عليه .. أطلت من الشباك .. سألته فى لهفة :

- أين دراجتك ؟

- رهنتها عند (عازر) .. أمر بضائقة مالية .. لكنى لم أرهن قلبى ..

أخذ يضغط على (المنفاخ) فى يده تحت ضحكاته وضحكاتها وضحكات أهل البيت القديم .. (أحبوه بعدها .. أصبح منهم) ..

. . . . . .

. . . . . .

لم تنس عزيزة ما كان من (حسين) ذات يوم عندما لطم (عباس) على مرأى ومسمع من سكان البيت فوق حصيرة المساء :

- امرأتك وسخت البيت .. يأتى الأنجليز إليها ..

- .. بل يأتون إلى (راشيل) فى غياب زوجها ..

- الله يلعنكم جميعا ..

... (بل سوف تحل عليك لعنتى) هكذا رددت (عزيزة) فى نفسها وهى تدبر لإنتقامها القادم ..

لم تمض شهور قليلة حتى وقع فى برائنها .

- .. أبى ينتظرك عند (بياصة الشوام) .

هكذا كان يحمل الصغير الرسالة السرية إليها كل يوم .. يهمس فى أذنها وهى تداعبة أمام أمه ..

- خذى حذرك يا (زكية) .. زوجك يصاحب (عزيزة) كل يوم فى (البياصة) .. لمحها (الياس) أخى ..

تقول { لوسيان }

- نعم.. زوجك يتسلل الى غرفتها بعد أن يفرغ الرجال من سهرتهم .. يأتيها كل يوم منذ دخل (عباس) السجن .. تصحنى (داود) ألا أخبرك

تقول { راشيل }

وعادت (زكية) ترقب كل تحركاته .. إلى أن ضبطته ذات ليلة :

- طلقنى ياأبن (الكلب) .. وأذهب فى داهية .

لم تستطع شيئا مع (عزيزة) فالإنجليز معها كما تعرف .. وخرج (حسين)من سنوات بعيدة .. لا يعرف أحد شيئا من أخباره ..

. . . . . .

. . . . . .

حاشية من البيت القديم :

مبنى ضخم ، ذو أسقف عالية من الأحجار البيضاء (الدبش) .. يشطره شرخ واسع في واجهة المدخل .. (يرددون أن البيت أنشرخ حزناً على صاحبته - أم الشبرو - كما أنشرخت قلوبهم عليها . كانت امرأة طيبة) ..

المبنى من دورين . أرضى وعلوى يعلوهما السطح .. الدور به أربعة غرف مفتوحة ناحية السلم ، كلها على خط مستقيم واحد ولكن كل منها منفصلة عن الأخرى . .

غرفة (زكية) فى مدخل الطرقة بالدور الأرضى ، تجاورها غرفة (حسن زبيبة) .. و (أبو الروس) .. ثم غرفة (الأستاذ) ..

يعلوها فى الدور العلوى غرفة (المرعوش) .. إلى جوارها غرفة مغلقة (كانت للشبرو وأمه) ، يتركها الى (نظيرة) فى أيام الغضب (هارباً إلى أبو الروس فى غرفته) ، بعدها غرفة عزيزة (يعرفها كل الإنجليز) ثم غرفة داود (تنام فيها الأشياء الصغيرة لفقراء الحى) .

وفوق السطح غرفتان لأم الياس (إحداهما للمعيشة ، والأخرى جعلت منها مصنعا صغيرا للحلويات) ..

. . . . . .

قال له (الشبرو) وهو يعظه :

- لا تشرب الخمر .. لا تجر عربة .. لا ترهن عند يهودى ..

{ هز (بوللى) رأسه } ...

. . . . . .

- ٧ -

أحزان (ماريكـا) ..

كثيرا ما كان يجتمع بعض اليونانيين من قاطنى الحى فى دكان (ماريكا) الصغير ، الذى يتدلى على جانبى مدخله ذلك الحبل المعلق عليه أوراق اليانصيب الصادرة عن جمعيات الجالية اليونانية فقط والتى غالبا ما تكون جوائزها أكبر من أى أوراق يانصيب صادره عن جهات أخرى ..

بينما الزجاجات الكبيرة الفارغة مرصوصة فوق رفوف خشبية متهالكة منذ زمن بعيد ، ترقد بجوارها بضع زجاجات نصف مملؤة بأنواع مختلفة من الخمور ، تميزها بأتقان شديد .. يأتى بها اليونانيون العاملون بالمطاعم والفنادق والكازينوهات من بقايا الرواد ، فى محاولة منهم لمساعدتها على تدبير أمور معيشتها ..

وفى أحيان أخرى كانت تشترى بقايا زجاجات الخمر المدفونة فى الرابش بقروش قليلة من فرش الحاج (درويش)أو من (أبو الروس) .. تعرف أن (الشبرو) لا يبيع ما يصل إلى يده منها ..

وفى الأركان بعض البراميل الخشبية الفارغة - يجلس فوقها الرواد - كانت مملؤة بأجود أنواع الخمور يوم أن كان (خريستو) يدير المحل بنفسه .

لكنها خرجت تحت العوز والحاجة دون خبرة سابقة بأمور البيع والشراء . تتصرف فى المخزون لديها حتى أوشك على الإنتهاء ، تجرعه كل مدمنى الخمر بالحى .. منتهزين فرصة عدم درايتها بالأسعار .. وكذا عدم معرفتها بأمور الخلط والغش . .

أسرع بعض اليونانيين من أبناء الجالية - المدربين - إليها ينتشلونها قبل الإفلاس ، يدربونها ، يلقنونها كيفية خلط الخمور ..

- قليل من الكحول والماء لن يضر ، حتى لو أضفت لهم (جازاً).. لا يشعرون ..

وكان (كوستا) دائما بالمرصاد لـ (داود اللئيم) الذى كان يتردد كثيرا عليها ، منتهزا فرصة تخبطها ، مراودا أياها فى بيع المحل :

- .. أبعد عنها حتى لا أهشم رأسك ..

وكانت توجيهات (جمعية رعاية ابناء الجاليه اليونانية) بالحى ، تضع (ماريكا) تحت الإشراف المباشر للخواجة (آدم) بحكم موقع محله - بقالته - بالقرب منها - والذى كان يردد دوما :

- .. إذا أردت البحث عن اللصوص وحثالة الحى .. ستجدهم فى وكر (ماريكا) .. آه (خريستو) .. آآآه .

أما عجوز الجالية الداهية (أنطونيوس فباروس) فقد كلف بمراقبة تصرفاتها ورفع التقرير المناسب فى حالة العجز التام . . لضمها إلى أخرتها فى ملجأ العجزة إن احتاج الأمر . . فما زالت سنها أقل كثيرا من المسموح به ..

كان الخواجة (آدم) يرسل أحد صبيانه صباح كل يوم ليأتى بالأوراق من الجمعية ، يسلم بعضها إلى (ماريكا) .. ويعلق البعض فى مدخل المحل ، وكان عليه أن يذهب آخر النهار ليأتى بنتائج السحب .. يبلغها إلى المحظوظين الذين ينتظرون الحلم فى الاوراق التى إشتروها فى

صباحهم .. يقتلون لحظات الإنتظارر، يتجرعون كؤوسا كثيرة .. حتى إذا أتت نتائج السحب فى صالح واحد منهم - لايهم من يكون - تجدهم يهللون، يرقصون ، يعربدون .. سوف يشربون من جديد كؤوس الفائز ..

. . . .

(خريستو) أين أنت ؟

عادت تحتسى الخمر بشراهة ، تشارك روادها الشرب ، تسألهم دائما .. هل سيعود ؟

وتنتظر عودة الخواجة (أنطونيوس) - من الجريدة التى يعمل بها - عصر كل يوم حتى يقرأ لها من جديد رسائل (خريستو) الأخيرة لها .. فهو أكثرهم صبرا عليها وهى لا تجيد القراءة والكتابة .

مجنونة أنت يا (ماريكا) .. أما زلت تنتظرين ؟ .. الحرب التى حضرها انتهت من سنوات بعيدة .. بعيدة .. ونعيش الآن فى حرب ثانية .. ألا تفهمين ؟

- فقط أقرأ .. ولا تخنقنى بثرثرتك الغبية ! !

(ما زالت المرأة البدينة فى ثوبها الأسود ، تنتظر عودة زوجها الذى تم استدعاؤها للحرب الأولى هناك ، وحتى الآن لم يعد) ..

. . . . . .

. . . . . .

آه .. ماريكا ..

كانت الجماهير تتظاهر بحماس فى ميدان (سينتاجما) .. ترقص فرحا فى الشوارع ، ابتهاجها بإعلان الحرب .. ولم لا ؟؟

ألسنا أحفاد الأغريق ؟ . . لا نصبر على ذل يراد بنا .. أو هوان نتعرض له ..

خرجت مع المجندين فى عرض عسكرى منسق وطويل طويل ، وكله بهجة وأعتزاز نطوف أرجاء المدينة .. نحطو فوق الطريق الذى خطا عليه أرسطو وبيركليس وسوفوكليس فى زمن المجد ..

سوف نعود مع عيد الميلاد نحمل أكاليل النصر .. أنها شهور قليلة .. نطلق فيها الرصاص .. ثم تنتهى الرحلة ..

انتظرينى سوف أعود لنجلس من جديد إلى شاطىء الاسكندرية .. أقبلك .. أحكى لك قصة الأرشيدوق[1] من البداية ..

. . ماريكا لك حبى . .

[خريستو]

. . . . . .

. . . . . .

كان اليونانيون يأتون إليها .. يحمونها من صعاليك الحى وعربدة المخمورين ..

يجلسون طويلا .. يشربون ، يدخنون ، يسكنون إلى أنفسهم ومن وقت لآخر يقص عليهم واحد منهم أحداثا مضت .. وينصت إليه الآخرون .. بينما يبصق البعض على الأرض ..

---

(١) قصة مقتل الأرشيدوق (ولى عهد النمسا) والتى كانت شرارة إندلاع الحرب العالمية الأولى .

– قبل أن أنسى يمكننى أن اخبركم بأن الملك (جورج)[1] سوف يلتقى يوم الأحد القادم بأبناء الجاليه فى النادى اليونانى .. يحثهم من جديد من أجل الوطن الأم .. ويحمل اليهم أخبارا سارة تلك المرة . هكذا يرددون !!!

– يحيا الملك .. يحيا الملك .. مازلنا نحلم بالعودة .. (يقول مخمورا من الجالية ويجهش بالبكاء ..فيغيرون مجرى الحديث) ..

– .. لقد أرسل (بابا ستراذى) ابنه (أرسطوفانيس) إلى بلجيكا ليدرس (التجارة العليا).. وعندما عاد لم يبقه معه فى تجارة الورق .. بل وظفه فى أحد مكاتب التصدير الكبرى .. حتى يلم بالسوق المالية فى (ميناء البصل) ..

– .. خيراً فعل .. كنت أحلم بذلك من أجل (يورغو) ابنى .. قبل أن تبلعه لعبة الأدب والسياسة .. مثلك يا عجوزنا ! !

يقول (كوستا) إلى (أنطونيوس) العجوز الذى ينقل إليهم أخبار الجاليه من كل أنحاء مصر ..

---

(١) كان الملك جورج الثانى مقيما فى مصر ومعه الحكومة الملكية اليونانية فى المنفى ، يرأس وزراءها (باباندريو) – والد رئيس وزراء اليونان (باباندريو) الحالى سنة ١٩٨٨ وكانت هذه الحكومة تلقى كل العناية والتأييد من البريطانيين فى ذلك الوقت – وكان الكثير من أبناء الجالية الشعبيين يؤيدون الملك المقيم بينهم .. يتابعون فى قلق بالغ أخبار الحرب الأهلية فى اليونان بين حركتى المقاومة الرئيستين : جبهة التحرر الوطنى ذات الميول الشيوعية وقواتها العسكرية من جهة والجيش الوطنى الديمقراطى والمعادى للشيوعية من جهة آخرى .. وقد لوحظ أن الفريقين قد أقتتل أحدهما ضد الآخر اكثر من أقتتالهما ضد الغزاة النازيين ... وكلاهما لم يكونا يؤيدان الحكومة اليونانية فى المنفى ..

- .. دعك من رواياتك البلهاء .. أيها العجوز الأحمق متى سيعود (خريستو) ؟.. لاتدعهم يستدعون ولدك للتجنيد !! (تصرخ ماريكا)..

. . . . . .

. . . . . .

كان (الشبرو) يتردد على (ماريكا) فى أيام الرخاء الواسع .. يلقى بقروشة الصغيرة .. تحبه دون الآخرين من أبناء الحى .. لايتكلم .. لا يثرثر .. لا يعربد . .بالإضافة إلى أنه المخلوق الوحيد الذى يؤكد لها فى كل مرة .. أن (خريستو) سوف يعود ..

يجلس فوق أحد البراميل الفارغة بالركن البعيد من المحل الضيق، منطويا على نفسه غير مبال بكل هذا العالم المحيط به .. لايفهم غوغاءهم اليونانية .. ولا الكلمات العربية المطموسة التى ينطقون بها أحيانا .. يسحب الزجاجة إلى فمه .

. . . . . .

هناك .. فى (أثينا) .. كنا نتناول أفطارنا فى أحد المطاعم أو الكافتيريات المنتشرة فى ميدان (سنيتاجما)[1].. يضمنى (خريستو) إليه .. يلف ذراعه حول خصرى .. تعبر الميدان الواسع تحت عيون السائحين .. نرقص فى جنون .. يلتقطون عناقنا بكاميراتهم .. يفتح لهم قميصه المزركش ، قصير الأكمام ، يظهر شعر صدره الكث (كم أحبه) . فى حين أطلق شعرى .. أتركه ينسدل فى حرية ونعومة ... والهواء يداعب جونلتى القصيرة ويلفح أردافى ..

ثم ننطلق . . نعدو فوق الصخور وأحجار المعابد . . إلى أن نركن عند الأطلال الرخامية لمعبد (البارثيون)[2] العظيم ، التى كانت تبدو

---

(١) حاليا ميدان الدستور بأثينا ..

(٢) من أهم المعالم الأثرية فى أثينا ..

كما لو كانت الطبيعة قد غسلتها بالماء النقى ثم جففتها بكل حنان ، تبارك حبنا . . نتبادل القبلات . . نفترش الأرض . . وفى مكان قصى نمارس الحب . .

. . . . . .

تأتى (نظيرة) .. تندفع غاضبة داخل المحل .. تدفع كل من يتصدى لها .. تهجم عليه .. تنتزعه فى عنف وبلا هوادة ، تسحبه إلى الخارج ..

وهناك أمام البيت القديم تسبه ويعلو صراخها (لتشهد الناس عليه) وعلى حالها وتعاسة مصيرها ..

- .. (ابن الكلب) .. أخذ فلوس العشاء وشرب بها سم (هارى) عند (ماريكا) المجنونة ! ! !

ويأتى (كوستا) إليهم .. بعد أن خرج فى أثرها عندما سحبت زوجها من محل (ماريكا) - منتهزاً الفرصة .. يتصيدها ، يعرف ليس لديهم قوت يومهم .. حقا يأكلون كثيراً ، يأكلون أنفسهم ...

- غداً تأتى للعمل فى (الكازينو) .

- الله يستر عرضك يا (خواجه).

- .. خذى نصف الريال للعشاء .. وبكرة الباقى .

تدعو له ، تمتدحه كثيرا تحت العيون المتطفلة ، بينما يترنح (الشبرو) مهزوما فى خمره ، كاظما غيظه. لايقوى على الحركة ، تخونة قدماه .. تمنى لو يملك كل أسباب القوة حتى يلطمه ويركلها ..

لايحب أعماله الكريهه فى (الكازينو) .. ولا يستسيغ صوتها الفاضح العفن .. لكنهم يجبرونه تحت الفضيحة وشهادة أهل الحى . .

. . ./. . . .

. . ماريكا ؟ ؟

(لقد أخطأ الساسة الكبار ، وجاء خطأهم كبيرا مثلهم .. لم يتوقعوا أن يفلت السهم من قوسه .. فجاءت الحرب .. قرعت الباب .. ودكته دكا)

ولكنى من تحت الموث . . أحبك . .

مقطع من رسالة أخرى لـ (خريستو) . .

* * *

من يوميات (كوستا) . .

كان يرتدى الجاكت الأبيض ، (البيبيون) الأسود يزين عنقه فوق القميص الأبيض .. ثم البنطلون الأسود والحذاء الأسود .. لا يغير هذا الزى إلا فى حالات المآتم أو الحفلات الخاصة .. فقط يستبدل الجاكت الأبيض بآخر أسود .

يقف فى مكانه المعتاد صباح كل يوم فى أنتظار العربة (اللاندلوفر) الخاصة بالكازينو ، تحمله وباقى المستخدمين إلى (المكس) حيث يعملون هناك ..

(كوستا) هو المدير الفعلى للمكان .. يفعل كل شىء .. فقط عليه الذهاب أول كل شهر إلى أحد البنوك التى لها أفرع فى اليونان ليعمل التحويلات المالية اللازمة لـ (كرياكوس جيورجوس) صاحب الكازينو الذى عاد مرة أخرى إلى مسقط رأسه ..

يتلفت حوله ، يلمحهم قادمين من ناحية البيت القديم ، يصرخ فيهم .. فيهرولون إليه ..

- أسرعوا .. يا كسالى ..

- أصل (الشبرو) كان بيصلى .. (يقول أبو الروس ساخرا) .

- أعرف أنه كان يرفض الحضور كالعادة .. لأن (نظيرة) أخذت نصف الريال بالأمس ..

- أنا لا أحب أعمال النزح يا خواجة (يقول دون أن يرفع رأسه) .

- سأدفىء صدرك بكأسين من نوع جديد قبل العمل ..

يبتسم (الشبرو) ، ويغرق فى الضحك من حوله (لوسيان) ، (أبو الروس) ، (بوللى) وغيرهم من أبناء الحى واليونانيين الذين يشق فيهم (كرستا) ..

ذات يوم طلب (داود) أن يعمل معه هناك .. لكنه عقب قائلا بعد أن أعتذر له :

- أتريدون شراء (الكازينو) .. أم (المكس) .. تلك المرة ..

. . . . . .

بعد أن يتناول الجميع طعام الافطار ، ينطلقون إلى أعمالهم التى وزعها (كوستا) ..

- أعتقد أنك فى أحسن حال بعد الكأسين .. ويمكنك أن تنزح البحر أليس كذلك ؟

يطأطىء رأسه ، يجر عربة (الفنطاس) بملابسه الداخلية (سروال وفانلة) ، يدفعها (بوللى) من الخلف .. حتى إذا وصل إلى خزان التحليل سحب غطاءه ، ثم ألقى الدلو المربوط بالحبل المثبت فى أطراف العربة .. يرفع المخلفات السائلة والأجسام الطافية ، يملأ (الفنطاس) النائم..

لا يشم الرائحة الكريهة فى خمرة .. بينما العيون الصغيرة ترقبه ، ترصد كل حركاته فى خوف وقلق ..(خد بالك منه) .. هكذا أوصته أمه - زكية - صباح اليوم وهى تودعه ..

- الغازات تخنقنى .. أبعد رأسك (ياخالى) .. حتى لا تسقط ..

- العمر واحد يا ولد ..

. . . . . .

يسرع الصغير إلى (كوستا) يطلب منه أن يعمل (أبو الروس) معهما ..

قـ (الشبرو) يترنح . .

- .. أترك الدهانات .. أذهب إلى البيارة .. أنزح معهم ..

يصرخ (كوستا) .. فيزمجر (أبو الروس) غاضبا ، يقول فى صوت مكتوم ، يسمعه الصغير ..

- حنرجع للوساخة ثانى ! !

كان (كوستا) قد علمه فى الفترة الأخيرة كيف يقوم بدهان السور الحجرى الخارجى بفرشة الجير .

وكان يسند إليه فى كثير من الأحيان أعمال الدهانات - لبعض الكبائن المتناثرة التابعة للكازينو ، ووحدات خلع الملابس ، ودورات المياه على الشاطىء - بعد أن اطمأن ال حساسية يده فى التعامل مع الفرشاة ..

(نفس الخفة التى تتعامل بها مع النشل).. يقول (كوستا) له وهو يسلمه (جردل البوية) التى قام بتضريبها بنفسه (زيت ، زنك ، لون) .

لكنه بالرغم من المراقبة الصارمة عليه من الجرسونات وخفر الكازينو يقوم بتهريب بعض من هذه البويات ..

يعرف (كوستا) متأخرا بعد أن لاحظ أن بعض شبابيك الحى أصبح فى لون كبائن الكازينو ..

- سألهم : من فعلها ؟ .. قالوا : أبو الروس ! !

يصرخ .. يسب .. يلعن .. لكنه أبدا لا يستغنى عنهم ، فهم طيبون دائماً .. حتى فى أسوأ حالتهم ..

لقد حاول أن يبدلهم ذات يوم ببعض من الرجال الاصحاء من (كرموز) .. كسروا مخازن الكازينو ..سرقوا بعضا من محتوياته .. هددهم بإبلاغ الانجليز لحمايته .. لم يعيروه اهتماما .. ضربوه .. وانصرفوا ..

. . . . . .

كانت الغالبية العظمى من رواد كازينو (كرياكوس) من ابناء الجالية الذين يعشقون تناول طعامهم فى الهواء الطلق .. يلتهمون بشراهة الوجبات الشعبية اليونانية التى تقدم لهم ..

الأوردفر (المشهيات).. تيروبيتا (فطيرة بالجبن) .. سبانا كوبيتا (فطيرة بالسبانخ) .. مليتزانوسالاتا (سلاطة خضروات) . . باكاليارو (سمك الغد بالثوم) .. جاريدس (جمبرى) .. باربونيا (سمك أحمر مشوى) ... الخ .

وقد استطاعت (لوسيان) بصفتها المشرفة الرئيسية عل المطبخ وصالة الطعام أن تضيف بعض الأطباق والحلويات الشرقية .. فجلبت إلى الكازينو لفيفا من الرواد (الشوام) الذين يعشقون تلك المأكولات والبحر ..

. . . . . .

كثيرا ما أستعانت (لوسيان) .. بـ (نظيرة) و (زكية) فى أيام غياب (زبده) المعهودة . ليقوما بغسيل مفروشات الكازينو والكبائن ..

ففى أيام الصيف كن يأتين معها فى (اللاندلوفر).. وكن ينتهزون الفرصة فى نهاية يومهن ويلقين بأجسادهن إلى ماء البحر ... أما فى أيام

الشتاء فتتم عملية الغسيل - قليلا ما تكون - فوق سطوح (أم الياس).

. . . . . .

. . . . . .

عصر ذات يوم بينما كانا يجلسان إلى الشمس الدافئة ، قبل وفود رواد الكازينو .. صارحت (لوسيان) .. (كوستا) :

- .. أراك حريصا أن يكون رواد الكازينو دائما من أولئك المؤيدين للملك (جورج) ..

- .. لماذا أقحم نفسي في مهاترات صبيانية وهو يعيش بيننا ، ومعه حكومته ورجاله ومخابراته .. يحظون جميعا بتأييد الإنجليز لهم بكل قوة .. ثم ماذا لو عاد للبلاد مرة أخرى ؟ .. ألا تكفي مهاترات (يورغو) التي قد تمنعنا يوما من دخول اليونان ..

- .. مع أي الفريقين يتفق ؟

- .. أعتقد جبهة الجيش الوطني الديمقراطي التي تعادي الشيوعية والملك معاً ..

- .. يعتقد أنه على حق ! !

- .. ألاحظ أنك تدافعين عنه دوما .. تقفين إلى جانبه كلما دار الحديث عنه .

- .. أصارحك .. أني أحبه .

- .. هو يعرف ذلك ؟

- .. لا اعتقد .. هل .. هل تزوجني له ؟

- ليته يفعل .. وينتهي من أمر السياسة والأدب اللذين يأكلانه دون أن يدري ..

- ٩ -

الخــواجه (آدم) . .

عندما تدخل إلى بقالة (آدم) تجده قابعا خلف الخزينة على يسار المدخل - يرتدى بالطو أبيض نظيفا ، يخال للناظر له أن يحسبه طبيبا ، خاصة عندما يضع نظارته فوق عينيه - يفصله عن أى زبون لوح زجاجى كبير ، يتحاوران من خلال فتحة دائرية فى مستوى رأس الرجل العادى .. تحتها أخرى لإستقبال النقود ، ويمكن للصغار أستخدامها لتبادل الحوار مع الخواجه ، يخبرونة بما يريد ذووهم .

أمامه يرقد (التليفون) الوحيد بالحى ، لهذا يخاف الصعاليك الإقتراب من المحل .. فكثيراً ما هددهم بأنه سوف يتصل بالكركون الإنجليزى لحمايته .. لذا لايجرؤ الكثير من أبناء الحى على الاقتراب من المحل نظرا لمعاملته الجادة (شبه الرسمية) .. لا يبتسم .. لا يهرج .. لايتحاور مع رواده من أجانب الحى والأهالى .

وحده الذى تنبه إلى الغريزة الخربة فى النفوس الصغيرة ، أولئك الاطفال الذين يأتون إلى المحل لشراء الحاجات لذويهم ، يعبثون بالصنبور المتدلى من قاع برميل (الجاز) الرأسى .. تتحسس أصابعهم خلسة مواضع المعروض من الجبنة ، الحلاوة ، الزيتون .. تجرأ أحدهم ذات يوم ، سحب قالباً كبيراً من (البسطرمة) وفر هاربا ..

من يومها أعاد تنظيم محله من جديد .. أصبح كالثكنة العسكرية .

ذات يوم طرد أحد الصبيان لأنه لمح على الأرض نقطة ماء :

- .. لو كانت نقطة (جاز) .. أو (سبرتو) .. أم (نبيذ) .. ما ترددت فى استدعاء عساكر الكركون الانجليزى لك ..

. . . . . .

هكذا كان يتعامل مع النظافة بقوة رادعة .. يحلم دوما بأن ينقل محله إلى الأحياء الراقية الجديدة على الكورنيش الجديد الممتد من الأزريطة حتى قصر المنتزة ، حيث يقطن ذوو الشأن من رجال الحكومة اليونانية بالمنفى .. يحلم بأن يأخذ مكانه بينهم .. يحسب ليوم العودة معهم .. فقد كان من اكبر مؤيدى الملك - (جورج الثانى) - من أبناء الجالية .. يعلق صورته فى مدخل المحل .. كثيراً ما سأله أبناء الحى من الأهليين :

- .. من هذا يا خواجة ؟

- .. أنه أبى .. أب اليونان جميعا ..

. . . . . .

فى أحيان كثيرة كان يستدعى زوجته شقيقة (كوستا) وعمة (يورغو) تليفونيا - كان يقطن الشقة التى تعلو المحل مباشرة - لتجلس إلى مكانه على الخزينة ، حتى يقف هو خلف الثلاجة الكبيرة التى تحجز الزبائن عن باقى بضائع المحل المفروشة بالداخل ، يلبى حاجاتهم ، يساعده فى ذلك صبيه الصغير (عثمان) - سودانى الجنسية ، ابن بواب العمارة - بينما يكون صبيه الكبير وساعده الأيمن (أحمد آدم) - هكذا يلقبه أبناء الحى نسبة إلى الخواجه (آدم) الذى يعمل عنده منذ أن كان طفلا صغيرا - فى مأمورية لإحضار التموين أو شراء ما يحتاجه المحل من أسواق الجملة بالمنشية (سكر .. شاى .. زيت .. صابون ..) .

. . . . . .
. . . . . .

كان (الشبرو) يرقص طرباً إذا استدعاه (أحمد آدم) . .

- لا يأمن أحد غيره على البضاعة المفتوحة ومعه (بوللى) للذهاب معه إلى موزع الخمور بالسكة الجديدة . . ينقل البراميل والدمجات الفارغة إلى عربته فى خفة بالغة بعد أن يتأكد للمرة الألف من جفافها . . يسحب عربته . . يدفعها (بوللى) من الخلف . . تتدلى (قفته) من أسفلها ، بداخلها (قنينته) الصغيرة التى يحتفظ بها من زمن لا يذكره ، لا تسعفه الذاكرة . . من أهداها إليه ؟ هل كانت مملوءة ؟ فارغة ؟

الخواجة صاحب مستودع الخمور طيب . . يملؤها له مجانا . . بشرط ألا يشرب منها إلا بعد العودة بحمولة عربته سالما . . غالبا ما تكون من تلك القطرات التى تتسرب من البراميل المتهالكة بالمخزن (يقوم أحد صبيان المستودع بجمعها من الأرض) .

- هذه القطرات لها زبونها الذى يعرف قدرها . .

(كثيراً ما ردد إليهم صاحب المستودع) . .

. . . . . .
. . . . . .

ذات يوم كان (داود) يجلس إلى صاحب المستودع ، عندما لمح (الشبرو) ، هب واقفا ، أسرع إليه .. يراوده من جديد بعيداً عن العيون التى تحميه وتلقنه .

- قلت لك ..أبداً لن أفرط فى رائحة أمى .. (يصرخ فى وجهه)

يبتسم (بوللى) الصغير فرحاً فى نفسه ، للمرة الأولى يرى (الشبرو) ثائراً .. فيسأله فى طريق العودة :

– ماذا كان يريد .. عندما همس فى أذنك ؟

– يراودنى عن بيع قراريطى .. يلح كثيرا .. يهودى ..

– .. صاحب المستودع أيضا يلبس قبعة عليها نجمة ..

– .. عرفت ذلك الآن ..

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

كان (آدم) يراظب دوما على متابعة الحركة السياسية والثقافية لأدباء ومفكرى وشعراء اليونان بالاسكندرية ، يذهب إليهم صباح كل أحد بقهوة الكريستال ناحية البحر بعد أن ينتهى من مراسم الصلاة بالكنيسة اليونانية خلف مسرح محمد على[1]..

ولم ينس فى طريقة من الكنيسة إلى المقهى أن يطوف ورفاقه حول بيت(كفافيس)[2] شاعرهم العظيم ، يرددون أشعاره ..

---

(١) مسرح سيد درويش حاليا ..

(٢) بيت قديم يحمل رقم(٤) شارع (البيسيوس) متفرع من السلطان حسين .. وثبت على بابه لوحة رخامية تحمل العبارة الآتية : فى هذا المنزل قضى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة من حياته الشاعر السكندرى ق.ب. كافافيس .

كان (آدم) يجلس (يورغو) إليه داخل كابينته ، يعرض عليه آخر ما كتبه فى مجلات (نيا أستيا)[1] ، (ينيكا)[2] وغيرها ..

– أشكرك كثيراً يا (يورغو) .. أن نبهتنى إلى هذا الأديب الذى يعيش بيننا .. لماذا لا يأتى هناك ؟

– (أنطوانى أنيونى)[3] .. لا يحب جماعة الكريستال ..لأنهم يمتدحون الملك كثيرا ..

– أدركت ذلك عندما قرأت (خطوات على الأسفلت).. (لحظات كبيرة لأناس صغار).. هل هو شيوعى .. أم من جبهتكم ؟

– .. فى جميع الأحوال .. هو يونانى وطنى ..

– .. مازلت شديد المراس .. يا ولد .. أخاف أن يسبب موقفك العدائى من الملك حرجاً للعائلة ..

– لا تخف .. ألا يكفى حبكم له ..

– .. يكفى ويزيد ..

{ يرد (آدم) مبتسماً فى تحفظ } ..

. . . . . .

---

(١) مجلة الوطن الجديد الأدبية .

(٢) مجلة المرأة .

(٣) أهم قصاص يونانى فى مصر .. صدرت أعماله بالاسكندرية من (١٩٣٥ – ١٩٤٥) .. كان مولعاً بالاسكندرية فى أعماله ..

. . . . . .

. . . . . .

تدخل (لوسيان) المحل لشراء بعض الحاجات والتحدث فى التليفون .. تدير القرص .. تتكلم كثيرا .. لايعرفون إنها تحادث بعض الخفر والسعاة بكازينو (المكس) فى أمور واهيه - فى محاولة للتمويه حتى تتطلع ملياً إلى وجه (يورغو) الذى تحبه ، وهو يتحاور فى داخل الكابينة ..

كم تمنت لو يسمح لها بالدخول إلى المحراب الزجاجى .. تجلس معهم .. تتصيد أنفاسه ..

- (لوسيان) فتاة الشام الجميلة .. تعمل مع والدك فى الكازينو .. تتردد على المحل فى وجودك . . لاحظت ذلك .. أنظر إلى الوله فى عينيها .. يبدو أنها تحبك ! !

{ يقول (آدم) إلى (يورغو) باليونانية } ..

* * *

- ١٠ -

السفر الثانى من حكاية (داود) . .

اعتاد أهل الحى فى الفترة الأخيرة أن يذهبوا الى (نظيرة) للإتفاق معها على نقل حاجاتهم ، يعرفون أن (الشبرو) سيبدد القروش التى يتلقفها منهم فى دكان (ماريكا) ، ويتركها للجفاف تأكل نفسها .

- .. ثلاث تعريفة عربون معك .. القرش صاغ الباقى سنرسله معه ! !

لكنه يبدد مايصل إلى يده ، يعود مخمراً ، منتصراً على مخططاتها ، فتستقبله بالصراخ والنواح .. تشهد الحارة من جديد على جريته فى حق المعلم (زبيبة) ، الذى يخرج مندفعا فى إتجاه صوتها - لم يعمل منذ زمن فالسوق راكدة - متحمسا ، تبكى لمقدمه قائلة :

- لقد بدد (صاغك) يا خالى ..

كل رجال البيت القديم قد اتفقوا فى اجتماع لهم ذات مساء على أن يدفع (الشبرو) قرشا إلى خاله حتى يشترى برسيما من أجل أكل الحصان فى الأيام التى يعرض فيها الزبائن عنه هربا إلى (الشبرو) - حتى لايعود إلى سبه ، ضربه ، التشهير به ، إدانته طول الوقت بسرقة الزبائن :

- والله ياخال .. ما سرقت زبونا .. هم يبحثون عنى دائما ..

- رخيصا بدأت .. رخيصا تنتهى ! !

وابل من اللطمات ينهمر ، والخد الجاف يمتص كل الصفعات العجوزة ..

- لماذا لا تضرب (أبو الروس) ؟ . هو أيضا يجر عربة .. ولايدفع !

تجرأ (الشبرو) فى خمره .. لقد أتت الفرصة الذهبية التى كان يحلم بها دون أن يرهق نفسه فى التخطيط لها .. لابد أن يلقى بصنارته فى الماء العكر حتى يكون الصيد ثمينا ، قبل أن تصفو النفوس وينصحوه من جديد بالابتعاد عنه .

- لاعليك .. لا تبك ..

- لقد هدنى التعب .. يا عم (داود) .. قدماى لا تقويان على حملى .. الناس لايفهمون .. و (نظيرة) لا ترحم .

- سأشترى لك حماراً صغيراً أو بغلاً .. ينقذك من العذاب .. سأجعل منك (عربجيا) كبيراً كما صنعت خالك من قبل .. ألم تحلم بهذا ؟

- .. فقط من أين لى بثمنه ؟

- .. أنسيت قراريطك فى البيت المشروخ ؟

- لكنك بعت للخال حميراً وبغالاً ضعيفة .. لم تصلح لحومها لطعامكم ..

- من أخبرك بذلك ؟

- كنت أسترق السمع إليهم ذات مساء وأنا مشلول فى خمرى .. يؤكد خالى ويقسم لمن حوله أن اليهود يأكلون لحم البغال والحمير . . فقد خرج معك إلى كل أصطبلات اسكندرية .. وسافر معك إلى الفلاحين .. والعزب المجاورة لشراء ما يلزم منها من أجل يهود المعسكرات .. أليس كذلك ؟

بقهقه (داود) كثيرا لأكذوبته النائمة فى رءوسهم .. تطفح بين حين وآخر فى أمسيات الهلوسة ..

. . . . . .

- . . تم اختيارك . . للقيام بشراء البغال والحمير . . حيث أنك كنت (سايسا) طيبا هناك . . هكذا تقول أوراقك المحفوظة لدى مجلس الطائفة .

- . . شرف لى يا سيدى أن يتم تكليفى بأمر ما . .

- عليك أن تجمع البغال المطلوبة . . فى صحبة من جيرانك (المصريين) السذج .. حتى يصبح الأمر عاديا .. لا يلفت الأنظار لما تجهز له بين عيون أبناء الجاليات الأخرى .. الإنجليز وحدهم يعرفون .. يقول (العازر) إلى (داود) - عضو اللجنة التى يرأسها العازر فى (المكابى) - عندما استدعاه فى محل الرهونات الخاص به فى شارع ابن الخطاب (ناحية الباب الجديد) ليلقنة الدور المطلوب منه فى تجهيز الحملة .

. . . . . .

- بعت ورهنت جلاليبك من قبل .

- هى أشيائى الحقيرة . . لا تهم ولكنى أبداً لن أفرط فى ميراث الأم من أجل حمار أو بغل . .

- . . لن أياس يا (شبرو) . . سأحاول معك مرة أخرى . . فى زمن آخر . . لن أيأس ! !

* * *

من أخبار (زبــده) . .

أسرع . . يدفع بالكرسـى الصغير تحت أقدامها . . بينما يسـند (الشبرو) ذراعى العربة حتى تتمكن من الصعود إلى مكانها وسط اشيائها التى تزيد تلك المرة السلال الأصفر الكبير الذى ينتظرونة دائما. ويحسبون لرؤيته . . (ينام بداخله بعض الخبز الفلاحى المحشو بالأرز واللحم) . . نذر آخر قادم للمرسى ابو العباس - سره باتع - تقول العزبة وهى تلقفها بقايا الوليمة الكبرى التى كانت على شرف المولود الجديد . .

- ذبح العمدة عجلا . . أتاه الولد بعد عشر سنوات عجاف . . لم ينم فيها ملء جفنيه . .

لم يعر (بوللى) أهتماما لما تهذى به المرأة طول الطريق من المحطة إلى السوق ، فقط يحسب للكنز الكامن داخل السلال الأصفر الذى ستعهد إليه بتوزيعه بعد أن تركن إلى مكانها فى السوق . . تمنى لو تعهد اليه بالمهمة من فورها قبل أن يتشاجر كالعادة مع (نظيره) التى تحاول هى الأخرى أن تحظى بتلك المهمة . .

كلاهما يسعي لاختطاف النذر ليقوم بتوزيعة على رفاقة أحتسابا لرد الجميل فى أيام الجفاف الطويلة . .

- أفكر فى هدية للمولود . .

- أبيعك بعض معلبات (لبن الأطفال) الانجليزية . .

- أريد هدية ذهبية . .

– عندى مربى للأم . . وويسكى للعمدة . .

– العمدة يخاف الله يا فاجر . .

– أشترى لك (عروسة) من عند الخواجة (كربانوس) . . تغمض عينيها وتفتحهما . . تقول ماما وبابا . .

– تستخف . بى يا ولد ! !

– أبدا والله . . لقد حلمت كثيراً أن يكون عندى لعب مثلها كل يوم .

– سأشترى كل ما تقترح . . لكنى أ ريد أولا من يساعدنى فى شراء الذهب . . هل تعرف أمك ؟

– خالتى (أم ابراهيم) . . تعرف أكثر . . كانت تملك ذهبا كثيرا ، وتعرف كل الصاغة . .

– هل تذهب معى إلى هناك ؟

– أسالها ! !

. . . .

تستأذن (نظيرة) فى الاحتفاظ ببعض الأرغفة لها ولفقراء الحى . . (لا نأكل اللحم إلا فى المناسبات ياخالة . .) بعد أن علمت بالنية المبيتة عند (زيده) . . فى الذهاب بنفسها تلك المرة إلى أبواب سيدى المرسى أبو العباس لتوزيع النذر وبعض من قروش الجنيه (الفكه) على أهل الله هناك ، وما تبقى فمكانه صندوق النذور المجاور للمقام . .

– نحن أولى يا خالة . .

– أذهبى هناك . . تأخذى نصيبك مثلهم . . هذه أمانة يا بنت ! !

ثم عليها أن تتجه بعد ذلك الى الضريح لتضع دستة من الشمع ومصحفا صغيراً يحمل اسم المولود . .

وتقرأ (الفاتحة) سبع مرات . . لا تعرف لماذا ؟ هكذا حملها العمدة الأمانة لحين يأتي للزيارة بنفسه . . مشاغله كثيرة هناك . . ثم عليها فى طريق العودة أن تذهب إلى ميدان الصاغة لشراء سلسلتين ذهبيتين يتدلى من كل منهما مصحف أحدهما كبير للأم . . والآخر صغير للمولود ..

– معك عشر جنيهات . . يا (فكيهة) ! !

. . . . . .

– طيبة أنت يا ست (زينب) . .

تربت (زيده) على ظهر (أم ابراهيم) التى تجلس إلى جوارها فى الركن الخاص بالحريم ، كما تقول اللافتة المعلقة على باب الترام ، على الكرسى المقابل تجلس (زكية) ، وخلف الحاجز الفاصل عن جناح الرجال يقبع (بوللى) و (ابراهيم) . .

– . . (والنبى دول عيال) . .

– قلت تذكرة كاملة يا ست . . دول أطول منى . .

رفض (الكمسارى) اعتبارهما أطفالا كما أقسمن له . . . لم يعد هناك من يصدق ان (ابراهيم) عمره إثنى عشر عاما . . و (بوللى) يصغره بستة أشهر . .

. . . . . .

فى الأسبوع الماضى رفضت (أم الحظ) - لم تحزن أبداً . . لا شىء يستحق الحزن . . الابتسامة لا تفارق شفتيها - أن يدخل معى الى الحمام كالعادة . . وأصرت أن يستحم فى حمام الرجال . . صرخت فى وجهها :

- كيف يرى ابنى عورة الرجال ؟

- وماذا عن عورات النساء اللاتى سيستحم أمامهن ؟ . .

وماذا لو ضبط ؟ . . سأطرد من مكانى كحارسة للحمام . .

من يعيننى بعدها ؟ . . . و . . . . وأنت أدرى بأحوالى . . . لقد كبر (إبراهيم) يا ست (زينب) . . ويمكنه أن يضاجع أى امرأة ! !

. . . . . .

يبتسمن ويضحكن عندما يتخيلن (إبراهيم) عاريا يتدلى ذكره ، يسبقه إلى الأرض فى حمام النساء . .

- . . والنبى لسه عيل ! !

. . . . . .

. . . . . .

الترام تأكل الخط الدائرى . . راغب باشا - ثم شوارع - العطارين . . الأمير عبد المنعم .. أسطنبول .. صفية زغلول .. الغرفة التجارية .. التتويج .. يقرأن (الفاتحة) فى طريقهن أمام أبى العباس والأباصيرى .. ثم محطة الأنفوشى . .

ينزلن من الترام والولدان خلفهن . . .

يتجهون إلى إحدى مراكب الصيد الخشبية الكبيرة الجارى صنعها . . يركنون تحتها .. تتوارى (زبده) فى ركن قصى تخلع جلبابها الأسود ، ترتدى (جلابية مزركشة) . . تتبعها (زكية) تفعل مثلها ، بينما تجلس (أم ابراهيم) إلى جوار السلالم الأصفر تحت المركب . . .

ينطلق (إبراهيم) الذى خلع ملابسه عدا سرواله ، يتبعه (بوللى) الذى تجرد من ملابسه تماما . . يساعدان (زبده) . .

يرفعان أرجلها بصعوبة كلما غرزت فى الرمال الثقيلة . . ثم يجريان .. يقفزان إلى ماء البحر ..

- لا بد أن أغتسل فى ماء طاهرة قبل الزيارة . .

(هكذا طلبت منهن خلال الثرثرة فى الترام) .

. . . . . .

. . . . . .

(. . . ولا الضالين . . آ . . . امين . .) .

يتمسحن فى القضبان النحاسية المشغولة حول الضريح . . يبكين . . بينما الولدان فى الخارج يتشبثان بالسلال الأصفر الذى تخترقه العيون الجوعى النهمة التى تجمعت حوله ترقبا وأحتسابا للحظة التوزيع . . يضحكان كلما تذكرا (نظيرة) التى تركن إلى الفرش هناك . . ستلطم الخدين كالعادة إذا عادا دو ن أن يحملا نصيبها ونصيب زوجها من الغنيمة كما وعداها حتى لا تكون فى أثرهما . .

تقف (زبده) إلى جوار صندوق النذور ، ترفع (الدويارة) التى تعقدها حول عنقها ، تخرج من صدرها كيس كبير من القماش المزركش

- قطعة من الجلابية التى نزلت بها البحر - تفك (الدويارة) المربوطة به .. تسقط فى يديها بعض القطع المعدنية والورقية الملفوفة فى وريقات صغيرة ملونة . . لتميز أصحاب النذور فى العزبة . . ثم تهمس فى صوت خافت إلى صندوق النذور بقصة (أو شكوى) صاحب النذر وتدعو له بما يريد كما حملها الأمانة . . ثم تلقى فى جوف الصندوق ما تحمل . .

. . . . . .

سلسلة ذهبية كبيرة عيار ٢١ للأم .

سلسلة ذهبية صغيرة عيار ٢١ للمولود .

مشاء لله . . ذهبية صغيرة . .هدية من (زيدة) للعمدة الصغير ..
(ربنا يحرسه) ! !

. . . . . .

- عرفت أين تخبئين كنزك يا (زيده) ! !

تضحك (زكية) ملء فيها ، توارى (أم ابراهيم) ضحكتها . . ، يتلفت الحريم بالترام . . يتطلعن فى فضول الى معرفة سر الضحكات الغائب . .

- ثدياها كبيران . . تدفن تحتهما كيس نقودها . . حتى لا يعرف (الدبان) الأزرق الطريق إليه . .

- لكن الكيس سرق منى ذات مرة فى القطار . .

قاطعتها إحدى الراكبات :

- ألم تحسى بيد اللص فى صدرك ؟

فقالت من فورها :

- وهل كنت أدرى أنه ينوى السرقة . . (الله يفضحه) ! !

وتنفجر النساء ضاحكات . . والترام فى طريقها الدائرى . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

كان الأومباشى (عبد ربه) - يهرب من زوجته وبيته لضيق ذات اليد .. يذهب إلى (كركون) العطارين المجاور للبيت القديم . . يعمل فى (النوبتجية) دائما - كثير التردد على مجلسهم ليلا ، خاصة فى أوقات الجفاف والقحط . . يركن إليهم حتى يأكل ، ويدس (الشبرو) فى يده قطعة معدنية صغيرة . . حتى لا يحرر له محضر سكر وعربدة .. كما كان يتوعده كل مرة . . على أنه فى بعض الأحيان كان يرسل أحد العساكر :

- . . . فين (الشبرو) . . الباشاويش (النوبتجى) عايز يعمل له محضر سكر وعربدة . .

- . . (الشبرو) نائم فى (المكس) النهاردة . . عنده شغل فى (الكازينو) . .

- . . . خلاص . . عايزين أى واحد بدلا منه حتى يرجع ! !

. . . . . .

. . . . . .

أخطأ أحد الانجليز الذين يترددون على (عزيزة) موضع غرفتها فى خمره . . فكانت طرقاته المتلاحقة على غرفة المرعوش :

- أفتح . . يا عزيزة . .

هب مفزوعاً . . وتحسس موضع الشباك يفتحه على مصراعيه . .

يصرخ . . يستنجد بأهل الحى :

- الحقونى . . الانجليزى عاوز . . . . . ! !

جمع الرجال حصيرتهم . . وفروا هاربين من أمام البيت . . من يجرؤ أن يقف فى وجه أنجليزى مسلح . . مخمور ؟

. . . . . .

. . . . . .

ذات مرة اشترى المرعوش (قبقابا) جديدا للمرة الأولى فى حياته ، كى يلبسه فى العيد والمناسبات الكبيرة . . .

لكن (عزيزة) لم تحتمل (الطرقعة) المزعجة فوق السلالم الخشبية فى جوف الليل :

- .. هذا (القبقاب) يزعج الإنجليز .. سيأخذونه .. ويأخذونك معه ! !

من يومها لم يلبس شيئا فى رجله . . تخلص منه . .

(عاش باقى عمره حافيا . . ومات كذلك) . .

* * *

السفر الثالث - من حكاية (داود) . .

- تبدو مهموما . . ماذا فقدت اليوم ؟

{ يقول (أبو الروس) من وسط الجمع الذى يفرش حصيرة المساء كالعادة كل يوم أمام البيت القديم } . .

- ماتت زوجتى ! ! (يقول داود) .

- متى ؟ . . كيف عرفت ؟ (يسألون فى لهفة)

- جاءت إشارة للنادى . . تقول . . ماتت اليوم . . ودفنت هناك . .

- البقية فى حياتك . . الله يرحمها .

(يردد بعض الجالسين . . زبيبة ، المرعوش ، الأستاذ . .)

- كانت طيبة . . وش السعد علينا (تقول عزيزة)

- الله يلعن أبوها (يقول عباس[1] وهو يوزع نظراته على (داود) وعزيزة) .

- الميت لايجوز عليه إلا الرحمة . .

(يقول صوت جماعى متداخل فى غياب)

---

(١) خرج (عباس) من السجن قبل تلك الأمسية بأيام . . وعاد إليه مرة أخرى بعدها بأيام . . كثيرا ماتفضحه غريزته . . لا يحسب للهواء الطلق . . لايتوب أبدا . .

- الرحمة عليكم أنتم . . يا ولاد (الكلب) . . يا أموات . . أنسيتم ماذا فعلت ؛

- أخرس . . يا سكران . . ولم نفسك .. (تصرخ عزيزة فى وجهه)

- جاءت بالانجليز إلى فراشى . . ومن يومها . . . . .

- . . . ويعدين معك يا عباس . . عايزهم يضربوك تانى ؟

تقاطعة (زكية) محذرة ، منبهة . . ثم فى محاولة لحسم تلك المهاترات:

- اقرأ لنا سورة يا (مرعوش) . .

- بسم الله الرحمن الرحيم . . الرحمن . . علم القرآن . . . .

وينطلق يرتل ، يستعرض صوته المشروخ قبل أن ينتبهوا أنها يهودية لايجوز عليها التلاوة . .

. . . . . .

- سامحنى يا عم (داود) . . كنت فى خمرى بالأمس . .

- لاعليك . . قد كانت زوجة مخلصة ، أدت دورها بشجاعة . .

(لم يفهم عباس . . ما تحويه كلمات الرجل ، فأعتقد إنه قد خدع فى أخلاقها) . .

- أنها لاتستحق ما تحمله لها من احترام . . كانت تخونك . .

- . . لا أفهم ؟ • (يقول داود فى دهاء)

- . . كانت تتصيد الجنود الإنجليز ليضاجعوها بحجرتك فى غيابك تلك الأيام البعيدة التى كنت تعالج فيها كما قالت لنا .

- . . لماذا لم يخبرنى أحد ؟

- . . هددتناإن فعلنا . . ومكنت الانجليز من زوجتى حتى لاتفضح أمرها فى الحى . .

- . . كل شيء أنتهى الآن . .

- . . أبدا . . سافرت زوجتك لتموت هناك . . وما زال الإنجليز يترددون على (عزيزة) . .

- . . يا عباس . . أنتهى الأمر الآن . . وبالرغم من كل شيء فزوجتك طيبة . . وزوجتى مخلصة . . أدت دورها بشجاعة . .

. . . . . .

كان (داود) قد تم تجنيده فى تلك الأيام البعيدة ضمن (فرقة راكبى البغال) - نظرا لخبرته فى الأعمال البيطرية - التى تألفت من اليهود اللاجئين ويهود الاسكندرية لتذهب إلى تركيا . .

وكان جنود الفرقة يلبسون قبعات عليها النجمة السداسية .

- تلك التى ما زال (داود) يلبسها - ولها علم مرسوم علية النجمة أيضا وما زال (داود) يحفظ فى غرفته هذا الكتيب العبرى الذى (قام الحاخام الاكبر بتوزيعة عليهم يومها) يحتوى على التعاليم اليهودية التى تدعو إلى الطاعة والنظام والروح العسكرية والتفانى الاسرائيلى[1] . .

---

(١) لم تتنبه الحكومة الى دور اليهود والحركة الصهيونية فى مصر إلا بعد مقتل اللورد (موين) الانجليزى فى ١٩٤٤/١١/٦ بمعرفة الياهو حكيم والياهو بت سورى ، اللذين تم القبض عليهما بمعرفة الكونستابل المصرى/ الأمين عبد الله . . .

أخبرت (راشيل) . . أهل الحى ممن سألوا عن (داود) فى تلك الأيام . . أنه قد ذهب للعلاج فى البلد . . لكنها أبدا لم تفصح لهم عن موقع هذا البلد . .

حتى إذا عاد أستقبلته بالأحضان ، وأغلقت الغرفة من فورها عليه لتتلقف أخباره ، ولم تترك فرصة لأحد كى يراه أو يهنئه بالشفاء والعودة بحجة أنه ما زال يحتاج لبعض الراحه . .

– لقد (أدت فرقة راكبى البغال) خدمات كثيرة للانجليز هناك[1] . . حتى صدر الأمر بتسريحنا ومنحنا نجمة (داود الذهبية) . . عاد بعضنا إلى هنا ليستكمل دوره . . وأرسل البعض الآخر إلى فلسطين ليؤدى دوراً آخر . .

– أنا أيضا حصلت على نجمة ذهبية . . لعلك الآن فى لهفة من أمر أخبارنا هنا . . كلها طيبة . . ولقد آثرت أن أسجلها لك فى تلك المذكرة حتى تكون فى أنتظارك . .

* * تم تكليفى بأن أحل محلك فى لجنة (المكابى) على أن أترك مكانى فى جمعية نقطة اللبن الى لاجئة جديدة ناشئة ، تتقلد مهامها لأول مرة هنا . .

وكان علينا أن نذهب لاستقبال المهاجرين على البواخر فور وصولهم والترحيب بهم وتوصيلهم الى أماكن إقامتهم وتوفير الراحة لهم .. تماما كما فعلوا معنا من قبل .. ولم ننس أن ننتهز الفرصة لنغرز فى نفوسهم الإيمان بفلسطين كوطن لليهود .. أيضا شجعناهم على دراسة اللغة العبرية . .

---

(١) اثناء حملة (غاليبولى) فى تركيا . .

كنت أصحب معى المعلم (زبيبة)بعربته (الكاور) كما كنت تفعل . يجرها البغلان اللذان بعتهما له مقابل (قيراط) فى البيت القديم الذى يملكه عن أمه . . وقد كنت محقا عندما تخلصت منهما ، فهما لايقويان على العمل لمسافات طويلة . .

هل تصدق أن العربة التى يجرها البغلان لاتحمل اكثر من عشرة أفراد من اللاجئين ..

تعبت معه ومع (الشبرو) الذى جاء يجر عربته ، يحمل فوقها الحقائب ، يدفعها (بوللى) الصغير من الخلف . . لم أتعامل مع (أبو الروس) كما أوصيتنى حتى لا يسبب لى حرجا . .

قوم بلهاء لا يتكلمون . . فقط يشربون . .

(أين نحن وماذا نفعل ؟) . .

سألنى صغيرهم عندما دخلنا المعسكر . . تجاهلت سؤاله . . لكن عينيه ما زالتا تطاردانني حتى وأنا أسجل لك . . تصور يا (داود) . . عيناه الصغيرتان ! !

وما أن أديت دورى بكفاءة عالية حتى تم ترقيتى وضمى إلى اللجنة اليهودية للترفية عن البحارة والجنود والبحارين اليهود - الذين يعملون بالجيش البريطانى الموجود فى مصر - وتقديم المعونات والمساعدات الدينية والروحية والمادية لهم . . وأمور أخرى . .

وكانت العائلات اليهودية الكبرى تتولى أمر الترفيه عن الشخصيات والرتب اليهودية الكبرى فى الجيش البريطانى . .

بينما كان نصيبى الترفيه عن صغار (الرتب) من الجنود ، فكنت أصبحهم إلى غرفتنا فى مجموعة لا تزيد على ثلاثة جنود . . يأتون فى زيهم الكاكى . . يرهبون الحى (ليلة السبت) من كل اسبوع . . حتى أعيتنى المأمورية . . أرهقتنى . . لكنى لم أتذمر أو أشكو . .

. . أخذت أفكر فى البديل . . نعم . . (عزيزة) . . كما نبهتنى ذات مرة . . لك عين ثاقبة ، وحكمة بالغة . . عند الجوع والحاجة . . يفعل الفقراء كل شىء . . أى شىء . .

قدمت لها المزيد من الطعام خلسة فى غياب زوجها - عباس - الشرس . . استدرجتها إلى غرفتنا ، خافت فى البدء . .

لكنها رضخت بعد أن ضاجعها أول جندى . . لم نستطع أن نحفظ السر لفترة طويلة . . فعيونهم ترقد فى الشارع طول الليل . . ترصدنا . . تفضحنا . .

هجم عليها (عباس) . . يصفعها . . يلطمها . . يريد أن يقتلها . . بعد أن بلغه أمرها من بقايا الرجال الذين يجلسون إلى مدخل البيت مساء كل يوم . . لكنى دفعت بأحد جنودى الأنجليز ليطارده فى شوارع الحى . . تحت سمعهم وبصرهم . . أطلق خلفه بضع رصاصات ، رجت الحى رجا . .

من يومها عادت (عزيزة) تستقبل الكثير من عساكر الأنجليز وتعمل لحسابها تحت سمعهم وبصرهم ، بعد أن فر (عباس) هاربا من الحى . . { آه يا (داود) أى مكسب حققت } . .

* * تم تكليفى بعمل بعض التحقيقات واللقاءات الصحفية الى جريدة (الرسول الصهيونية) التى تصدر بالفرنسية عن الطائفة الاسرائيلية

. . وكذا الى مجلة (مصر الاسرائيلية) التى تصدر بالفرنسية عن جماعة أنصار الثقافة العبرية بالنادي . .

هل تصدق ؟ ألتقيت بهم جميعا . . تحاورت معهم . . أحفظ لك كل الجرائد والمجلات التى تحمل تحقيقاتى ولقاءاتى بالرغم من أنك لاتجيد (الفرنسية) . . سأقرأ لك :

(حديث مع عمداء العائلات اليهودية الذين يتحكمون فى توجيه الاقتصاد المصرى الآن . .

رولو ، موصيرى ، عاداه ، عدس ، قطاوى ، شيكوريل ، جاتنيو ، جرين ، منشة ، . . . .

أصبت نجاحا كبيراً يا (داود) . . وعدونى بمهام اكبر هناك . . الآن يمكنك أن تضمنى إلى صدرك . .

– راشيل . . راشيل ! !

* * *

- ١٣ -

دكريات صغيرة . .

يا ليلة العيد

أنستينا

يا ليلة العيد . .

اللى يدبح . . اللى عنده جلد . . ياليلة العيد . . الصرخات . . الأغنيات تتداخل ، والحركة فى الحى لا تنقطع . . لا نوم . . الليلة عيد . .

. . . . . .

تسا ءل (ابراهيم) ماذا لو طلب منه أن يذبح ؟ . . سيدنا (اسماعيل) قال : يا أبتى أفعل ما تؤمر . . فما عساه هو أن يقول ؟

وتتعلق الأعين الصغيرة تتأمل الصورة الوحيدة التى تزين جدار الغرفة . . ماذا لو أن تلك الجراثيم الخبيثة لم تداهمه ؟ ألم يكن بينهم الآن على الأقل ؟ . .

ثم راحت أمه تضمه إليها ، تارة تقبلة وأخرى تتأمل الصورة . . تعاتبها :

(كده برضه يا حامد . .تسيبنا لوحدنا . . تعال شوف أبنك بقى زى الفل) . . .

وتصحبه إلى حمام ساخن . . يخرج بعده وقد أرتدى البيجامة الجديدة . . والقرش فى الجيب . .

يقعد على (الكنبة) فى إنتظار (خالد) القادم من القاهرة أضجعت الأم . . أضناها عمل اليوم . . أبكتها الذكرى ، وهو لم يزل يتأمل ملامح الوجه والابتسامة على الشفاه . . كم كنت جميلا يا أبى . . لماذا تركتنا ؟

لم ينم . . لو أن كل ليلة مثل ليلة (الوقفة) لهان الأمر ونام . . ولكن بعد لحظات سوف يأتى (خالد) - قادما من القاهرة حيث يعمل فى (الأورنص)[1] الانجليزى - ليقضى العيد بينهم كالعادة . . . ويصحبة فى الصباح لتأدية صلاة العيد . . بعدها زيارة العمود[2] . . كم يحب تلك الزيارة ، والغائب وأمه . . والعيد . .

تعلقت عيناه مرة أخرى بالجدار عله يجد الجواب . .الدمع ينسكب . الأمل فى لقاء الغد يراوده . . لا نوم . . لا نوم . .

الساعات تمر بطيئة . . الخال لا يأتى . . فيصارع ، يقاوم ، لا يريد أن يهزمه النوم فيسلبه اللحظات التى يحبها وينتظرها . .

نسمة عابرة تسبح حوله ، ويسبح معها فى إغفاءة بسيطة . .

(الله اكبر

الله اكبر كبيرا . . والحمد لله كثيرا

وسبحان الله وتعالى بكرة واصيلا) . .

النداء الجميل يقطع السكون . . يوقظه ، فيهب فرحا . . يجرى حيث أضطجعت أمه (كل سنة وأنت طيبة يا ماما ! !)

---

(١) مراكز صيانة المعدات الانجليزية .

(٢) مدافن وسط المدينة حول عمود السوارى .

تضمه إليها . . تغمره بوابل من القبلات . . الكلمات لاتخرج من شفتيها . . ودموع العين تردد . . (وأنت طيب ياحبيبى) . .

ثم شهقة زفير . . آه . . ونظرة سريعة فى اتجاه الصورة المعلقة على جدار الحائط ! !

وتمر اللحظات سريعة . . سريعة . . تمنى لو توقفت . . تهشمت عقارب الساعة . .

وبدأت الشعائر . . ولكن الخال لم يأت بعد . . هل تنتهى صلاة العيد وهو ينتظر ؟ دموعه تطرح السؤال على الأم . .

- يا (ابراهيم) . . (ابراهيم) . .

يناديه (بوللى) من الشارع ، عن جواره أهل البيت القديم .. نظرة أمل مكسورة . . شفاه مكتومة تلاحق الأم . . هل أذهب معهم . . كثيراً ما نصحته بعدم الرجوع الى مجلسهم ويجد الأجابة سريعة تلك المرة :

- أذهب معهم . . فهم قوم طيبون . .

. . . . . .

. . . . . .

يجمعهم المعلم (زبيبة) . . يذهبون الى جامع (العطارين) -(الشبرو) ، (أبو الروس) ، (بوللى) ومعهم (ابراهيم)) هذه المرة - حيث يقوم الحاج (درويش) وكبار المعلمين بالحى بتوزيع (العيدية) عليهم بعد الصلاة . .

بينما يرفض (المرعوش) الذهاب معهم بحجة أنه سوف يصلى فى جامع (سيدى العمرى) - القريب من العمود - ويسبقهم الى المدافن ،

فلابد أن يحجز مكانا قبل الزحام . . حتى لايأكل باقى المقرئين وليمة العيد وحدهم . . . { تقسم (زكية) أن (المرعوش) لم يدخل جامعا فى حياته } . .

. . . . . .

يذهب (الشبرو) - كانوا قد حبسوه بينهم ليلة الوقفة حتى لا يذهب الى الجامع مخمورا - بحذاء جديد ، بينما يدخل (أبو الروس) بدون حذاء حتى إذا ما أنتهت الصلاة أخذ أى حذاء جديد . . هكذا يفعل كل عيد .. لم يشتر حذاء منذ سنوات بعيدة . . لم يعنفه أحد لهذة الفعلة بالرغم من أنهم يعرفون أنه ذهب خصيصا لسرقة أي حذاء . .

ذات مرة سرق حذاء (الشبرو) ، ولم يفلح الأخير فى استرداده . .

عندما يذهبون الى باب العمود الأوسط يسألون وسط الزحام :

- . . نريد الشيخ (مرعوش) الأعمى . .

- . . ياعم الشيوخ هنا كلهم عمى . .

ويأخذهم (بوللى) إلى مقابر (أم زبيبة) . .وحده يعرف كل شىء ، يقود الرجال حتى يقفوا أمام القبر . . يقرأون الفاتحة :

- . . آ امين . . يمكنكم أن ترسلوا (الفاتحة) من هنا لأمهاتكم . . فلا أحد هنا يعرف أماكنهم . .

يقول (حسن زبيبة) لهم . . يضحك الولدان . . ويضحكان اكثر كلما تذكرا (المرعوش) عندما سحب (الشبرو) و (أبو الروس) ذات يوم الى احدى المقابر واخذ يقرأ عندها :

- . . هذا قبر أمك يا (شبرو) .. وهذا قبر أمك يا (أبو الروس) .

تقول (زكية) أن جسد أم (الشبرو) يرقد فى مدافن المنارة . .

بينما يرقد جسد أم (أبو الروس) فى (أتياى البارود) حيث ذهبت مرة لزيارة أهلها هناك ولم تعد . .

يصحب (ابراهيم) (بوللى) إلى قبر أبيه . . يقرآن الفاتحة . .

. . . . . .

. . . . . .

- .. بل نذهب إلى سينما (فؤاد) ..أريد أن أرى فيلم (طرزان) .

- .. كفانا (طرزان) يا (بوللى) .. أنسيت سينما (كيلو باترا)[1]

يضحك الولدان لتلك الواقعة التى ما زالا يكتمان أمرها عن ذويهما ..

. . . . . .

كان (طرزان) يقفز فى الماء من فوق جبل مرتفع . . تحت أصوات حيوانات الغابة بعد ندائه المميز لهم . .

فأمتزج الخوار ، النهيق ، الزئير ، الصراخ ، النواح . . وتخبط رواد السينما فى الظلام . . ثم اضيئت بعض أنوار الصالة تحت الهرج والفزع ، الخوف . . السينما أنحرقت ! !

كان يجرون فى اتجاه الباب الوحيد للخروج - باقى الأبواب مقفولة - وهم يفركون عيونهم لأستقبال ضوء الشمس الذى يصفعهم بالخارج . .

---

(١) كانت تقع هذه السينما بجوار كوم بكير (حى الدعارة بالاسكندرية فى ذلك الوقت) . .

كان ظهر عربة النقل الصغير - البوكسفورد - فى اتجاه الباب مباشرة يستقبل بعضا من فلول الفارين . .

أعتقدنا أنه من أجل غوث وإنقاذ الصغار . . فقفزنا إلى داخله وقد ارتحنا إلى تفسيرنا بعض الشيء عندما وجدنا داخل الصندوق بعض النساء العرايا وبعض الرجال - لايستطيعون الجرى فى الشارع - إلاأن صفعات أحد الرجال ذوى البالطو الكاكى على وجوهنا . . نبهتنا إلى حقيقة الأمر :

- . . انزل يابن (الكلب) أنت وهو . . دى قضية دعارة ! !

. . . . . .

. . . . . .

خالتى (أم ابراهيم) أمرأة طيبة . . كل أهالى الحى يذكرونها بالخير .. تطرز (المدورات) وتطلب منى فى بعض الأحيان أن أذهب بها الى زبائنها من نساء الحى - (ابراهيم) يخجل من ذلك - وفى أحيان أخرى كنت أذهب حاملا (المدورات) الى (أم الحظ) .

- تعمل حارسة بحمام الشيخ (للنساء) بشارع سيدى أبى الدرداء - لتقوم ببيعها على رواد الحمام . . فى أحيان كثيرة كنت أذهب الى بيتها فى (بياصة) باب سدرة . .

. . . . . .

. . . . . .

سألنى (الاستاذ) ذات يوم :

- من الذى أطلق عليك أسم (بوللى) ؟

سألت أمى . . قالت : (عزيزة) أمرأة (عباس) . .

عندما عرفت أن (أنطوان بوللى - الايطالى - قواد الملك) . . أدركت ما يرمى إليه الاسم . . كرهته . .

وعاد كل من يعرفنى ينادينى باسمى الحقيقى - (شعبان) - خوفا من لسانى تحت الغضب . .

خالى (الشبرو) هو الوحيد الذى كنت أسمح له بأن ينادينى بهذا الأسم الذى تعود عليه . . طيب خالى . . لا يفهم ! !

. . . . . .

. . . . . .

كنت أشترى مجلات الفن ، الراديو ، البعكوكة . . لكى يقرأها لـى (ابراهيم) . . . وكذلك كان يفعل أصحاب الحرف والذكاكين الذين يجاورون منزلنا . . (يجهلون القراءة والكتابة . . مثلى) . .

* تدور مفاوضات مع الآنسة أم كلثوم للذهاب إلى مراكش . .

* أذيعت فى مساء يوم الأثنين الماضى من المسجد الحسينى بعض توشيحات بمناسبة عيد الجلوس الملكى وقد اشترك الشيخ (طه الفشنى) بتوشيح من تلحين الاستاذ محمد عبدالوهاب مطلعة :

(يامليكا زها به الحسن واستنار) . .

* لن تستطيع أن تنسى قصتنا . . فى الفيلم الغنائى الكبير . . دموع الحب . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

ذات مرة جاءنا (الشبرو) بجريدة البلاغ :

- . . اقرأها يا (ابراهيم) أفندى . . إيه الأخبار ؟

ثم ظل شارد الذهن ، ينظر بعينين فارغتين وكأنه لا يسمع حرفا مما يقال . . نظر طويلا . . ثم هز كتفيه . . وسار فى طريقه الى داخل البيت . . وكانت رائحة الخمر تفوح من فمه . .

* * *

- ٤ -

الحفل الأخير فى كازينو (كارياكوس)[1] . .

كل شىء يبدو مرتبا ونظيفا على غير العادة فى مثل هذا اليوم من كل أسبوع (طالما كان الكازينو خاويا لا رواد فيه ولاعمال . . خاصة فى هذا الوقت من اكتوبر) .

لقد رتبت الموائد إلى بعضها لتكون فى النهاية مائدة طويلة تغطى بالمفارش المزركشة وتزين بالزهور وأطباق المأكولات المختلفة ، الحلوى ، والزجاجات متعددة الأشكال والألوان . . (اسمها . . البوفيه المفتوح) . . يقول (كوستا) للصغير الذى يساعده فى تثبيت أوراق الزينة وتنظيف المكان . .

- يبدو أن اليوم عيدهم ! ! يهمس (أبو الروس) فى أذن (شعبان) .

- لا عيد عندهم فى مثل هذا اليوم من السنة . .

- ناصح أنت يا ولد . . . تعرف كل الأشياء . . . أحسدك ! !

يبتسم (الشبرو) الذى يرقب الحوار . . لايهم أن يعرف شيئا عن المناسبة . فقط يحسب للساعة التى تنتهى فيها الحفلة حتى يجمع من فوره بقايا تلك الزجاجات التى ترقص فوق الموائد المرصوصة . . يسيل لعابه لها . .

---

(١) فى صباح اليوم التالى للحفل أستدعى الانجليز (كوستا) . . وطلبوا منه أخلاء الكازينو وتأجيره لهم لأستخدامه كمركز ادارى خلف خطوط قواتهم التى تحارب فى الصحراء الغربية . . .

. . . . . .

. . . . . .

يسرع (شعبان) الى غرفة (لوسيان) فى أروقة (البدروم) بالكازينو . . بينما يركن (الشبرو) و (أبو الروس) للراحة بعد المجهود الكبير الشاق ، الذى بذلاه من أجل نزح بيارة تجميع مياه المجارى ، ورفع مخلفاتها كالعادة ، والقائها بعيداً فى الصحراء ، فى المكان الذى حدده (كوستا) من قبل ، تحت الريح . .

– تبدين جميلة فى ملابسك الجديدة . .

تضمه أليها فرحة بإطرائه الصغير . . تقبلة (للمرة الأولى فى حياته تقبله فتاة جميلة ونظيفة) ، تمنى لو أن (أبراهيم) معه ليرى ما يحدث له . . أبداً لن يصدقه مهما أقسم له . .

– . . (ابراهيم) يحلم بأن يقبلك . . والأستاذ يحبك . .يأتى الى مجلسنا من أجلك . . يريد أن يتزوجك . . .

قالت له أمى : أنك أجمل فتاه فى الحى . . وتحبين (يورغو) . . كلنا نعرف ذلك . .

ضمته مره أخرى ، تعرف أنه يكذب ، طبعت على خده قبلة اخرى . . ثم دارت حول نفسها تتطلع الى المرآة أمامها تتأكد مما سمعت . .

– سوف يأتى (يورغو) اليوم . . كل اليونانين سيحضرون سيرقصون ، يشربون ، يأكلون ، يبكون ، ويغنون . . .

– لماذا كل هذا ؟

– (صوفيا فمبر) . . ستغنى اليوم من محطة راديو القاهرة ..

– فهمت الآن . . لماذا يضعون (الراديو) و (الجرامافون) على المائدة فوق حلبة الرقص . . هى (أم كلثوم) اليونان . . أليس كذلك ؟

– نعم . . نعم . . (تبدو دائما أكبر من سنك) .

تهمس فى نفسها وهى تربت على رأسه . .

. . . . . .

. . . . . .

(كوستا) هو الكازينو . . والحفل هو (كوستا) . .

بينما (الشبرو) و (أبو الروس) يغطان فى نوم عميق فى (كشك) الحراسة ، بعد أن هدهما التعب . . يحلمان بفضلات الحفل . .

. . . . . .

. . . . . .

اليونانيون . . يتوافدون الى الكازينو . . يجلسون إلى موائدهم المحجوزة بأسمائهم . . يسبحون فى (التانجو) العاطفى المنساب من أسطوانة (الجرامافون) . . يهدهدهم صوتها الدافء . .

بعد العشاء . . سيلتفون حول المذياع . . يحضنون صوتها يقبلون الموجات الأثيرية التى تنقل أليهم عبق الوطن . .

(فنانة مشهورة . . خرجت من اليونان تحت أعين الألمان . . لبست كالفلاحات . . وبعد كثير من التجول وصلت إلى هنا فى مصر وقدمت عرضا وطنيا على المسرح . . لكن الليلة تغنى بنفسها وستقول كلمات وطنية لابد أنها ستثير حماس كل روح اليونان . .

من أجل هذا كان أنتظارهم فى الكازينو . . حقا يمكنهم سماعها من منازلهم ، فلكل مذياعه فى بيته ولكن . . كم يكون مشهدا وطنيا أستماعهم إليها سويا ، بهذا قال البعض . .

كانت ملابسهم الأنيقة النظيفة المستعملة - التى غاليا ما يحتفظون بها لمثل تلك المناسبات الجماعية البعيدة - تفضح واقعهم الأجتماعى. . الذى يغترفون منه . . الغالبية العظمى منهم يقطنون الأحياء الشعبية الفقيرة - العطارين . . اللبان . . كرموز . . المكس . . و . . . - ويعملون فى حرف رخيصة تكاد تدبر لهم أسباب الحياة .. سباك . . بقال . . سمكرى . . كهربائى . . حلاق . . زبال إن أقتضت الظروف . . يعيشون فى النتوء والحنايا . . يملأون عين الشمس على مساحة الوطن . .

ولا شك أن هناك يونانيين آخرين سيجتمعون فى - بسترودس ، آثينوس ، سانت لوتشيا . . تريانون ، ديليس ، الكريستال - أماكن أخرى اكثر إشراقا ورقيا لنفس السبب . . . تتناسب وواقعهم الاجتماعى . . . (أنهم يعملون فى البنوك - البورصة - الصحافة - المصالح الحكومية - الجمارك . .) .

لكن (بورغو) سيترك رفاقه بالجريدة - التى يعمل بها مراسلا- يحتفون بالأمسية كما يروق لهم عند (بابا غلوش) ، ويهرب إلى (المكس) ، يسبح فى مشاكل الجالية الفقيرة . . لتغطية الباب الذي يحرره . .

(عندما ترفع أى حجر عاثر . . ستجد تحته . . بربرى ويونانى)
. . قول متداول . .

. . . . . .

. . . . . .

« فى الرحلة التى يحملك إليها ، الفارس الأسود ، أحذر أن تتناول من يده شيئا . .

« وإذا عطشت ، فلا تشرب ، ياحفنة العشب الأعجف ، ماء النسيان من العالم السفلى ، لا تشرب قطرة ، فتنسانا ، ومن ذاكرتك تمحى إلى الأبد . .

« ضع فى طريقك علامات ، حتى لا تضل الطريق فى عودتك . .

« وما دمت صغير القد ، خفيف القوام مثل عصفور ،

ولا تصطك حول وسطك أسلحة المحاربين الصناديد ، حاول أن تخدع سلطان الليل ، تسلل برفق خلسة ، وطر صاعدا الى هنا .

عد إلى البيت الخاوى ،

يا ولدنا الحبيب الغالى ،

تجسد نسمة ،

وأمنحنا من قبلاتك الحلوة قبلة » [1]

. . . . . .

. . . . . .

يصفقون كثيرا لشعر أمير شعراء اليونان (كوستى بالاماس)[1] هزتهم الكلمات ، أثارت شجونهم وعبراتهم ، آبكاهم الألقاء الذى أجاده (يورغو) . .

---

(١) من ديوان (القبر) عام ١٨٩٨ ترجمة د. نعيم عطية .

يلتفون حول عجوزهم المثقف (أنطونيوس قباروس) ، يردد على مسامعهم للمرة الألف إعجابه بقصص الملك (قسطنطين) البطولية . .

ويحثهم من جديد للوقوف خلف الملك (جورج) ، وكثيرا ما كان يقـرأ الجرائد العربية واليونانية ويترجم إليهم ويراسلهم . .

يمضى معظم أوقاته متنقلا فى زيارة أبناء الجالية الفقيرة . .

– (أنه عين الحكومة اليونانية بيننا) . . قال أحدهم لآخر ذات يوم – أما الأغنياء فهو يكرههم لأنهم لايتعاطفون مع بنى جنسهم بل يستغلونهم بطريقة سيئة لاتحفظ للأنسان كرامة . . أضف إلى ذلك ميولهم السياسية المتقلبة ..

– لا شك أننا سنتحاسب يوما فى الوطن الأم . .

– يجب أن تنظر حكومة الوطن الى فقراء جالياتها فى مصر بعين العطف وقليل من القيود .

– أعرف ما ترمى إليه يا (بارابوس) أبنك يونانى الجنسية . . لا بد أن يجند . . مهما كانت محنتك ، فمحنة الوطن هناك أكبر . .

– متى وصل أول يونانى فى الجالية إلى هنا ؟ وماذا كان يعمل ؟

تسمر العجوز فى مكانه . . فلقد كان للسؤال وقع المطرقة فوق أم رأسه . . عامان أمضاهما فى البحث والتنقيب بين جدران مكتبة البلدية ، وتحت أرفف الكتب المصفوفة فى المكتبات الأهلية المتفرقة فى أنحاء المدينة . . لعله يستطيه أن يكتب التحقيق المطلوب منه للجريدة التى يكاتبها . .

– لا داعى أن تطاردنى بسؤالك فى كل مكان أنزل به . .تعرف أننى لم أتحقق من الإجابة بعد . . لكنك تبغى مشاكسة عجوز يثرثر كثيرا . . أليس كذلك يا(يورغو) ؟

- هذا ما قصدت . .

(وتضج الصالة بالضحك) . .

. . . . . .

. . . . . .

تقفز الفتاة الشابة الشقراء . . تخلب لب الجميع . .

(آه ماريا . . آه) . . تصوب نظراتها إلى (يورغو) من فوق الحلبة فى محاولة للتحدى . . بينما تكظم (لوسيان) غيظها ، تفضحها يدها التى تقبض على يد الصغير الذى عن جوارها

- هل تحبه ؟ يسألها (شعبان)

- إسكت ! ! (تلكزه فى كتفه الصغير) . .

وتصرخ (ماريا) من فوق الحلبة . . (الآن دعونا نرقص) . .

. . . . . .

بعد أن شربوا وأكلوا ، قاموا يرقصون مثنى مثنى . وكان (يورغو) فارسا فى حلبة الرقص ، لم تستطع (ماريا) أن تجاريه (الفالس) .. فأضطر أن يستبدل بها (كيتى) التى لم تصمد طويلا ، فرقص فالسا آخر مع سيدة عجوز طلبت منه ذلك فى خمرها . .

- ألم أقل لك من قبل أن اليوم عيد كل اليونانيين .

- . . . لقد لمحت فى الصالة يونانيين يشبهون الخواجة (آدم) وزوجتة . . والخواجة (كربانوس) وزوجتة . . . يرقصون فوق الحلبة ! !

- أنهم هم بالفعل . .

أندفعت (لوسيان) إلى الحلبة . . تشد السيدة العجوز إلى الصالة ، ثم تقف وجها لوجه أمامه . . (لعلك ترانى تلك المرة) . .

وأنطلقا يرقصان فالسا جديدا ، والعيون الصغيرة تتابعهما . . بينما (كوستا) يراقص (ماريا) فى ركن بعيد . . .

{ لن يصدقنى (ابراهيم) مهما أقسمت له } . . يردد فى نفسه . .

. . . . .

- (كوستا) أين أنت ؟

- أنا هنا ! !

. . . . . .

الساعة التاسعة والربع . . لقد حان الموعد . . (هنا القاهرة) . . وأخيراً . .

« أودعك دون ما ألم ولا حسرة

وأرجو منك شيئا . . أن تفكر فى وحدى »

يصمتون ويسمعون فى تأثر الصوت العميق المعروف ، يبعث فيهم شعورا مريحا . . أغنية الوطن ، الدم ، الشباب . . حاكيها (تانجو) ينساب واهنا بين قلوب هزها الحنين . .

تمتلأ العيون بالدموع . . والصوت يصرخ فى الإذاعة :

(أذهب صاحبتك السلامة . . بإيمان قوى فى صدرك هناك ينتظرك . . ويؤيدك النصر)

. . . . . .

يهب الجميع وقوفا للسلام الملكى اليونانى . . يهتفون :

- يحيا الملك . . تحيا اليونان . .

بينما ينسحب (يورغو) خارجا من الصالة ، فتنطلق (لوسيان) فى أثره ، تلاحقه ، تناديه : (يورغو . . يورغو) .

- أخبرته ذات يوم .. إنها تحبه . . وقد صدق حدسى .. يقول الخواجة (آدم) لزوجتة - عمة (يورغو) - التى تجلس معه على المائدة . . وهما يتابعان خروجهما . .

. . . . . .

. . . . . .

كنت أرقبك صباح كل يوم ، تخرج إلى زهورك ، جميلة الألوان ، ترويها ، ينبعث أريجها فى نسمات الصباح ، يعطر المكان فوقنا ، ويغسل السماء . . تمنيت لو ترانى ، ترويني ، تلقى إلى صدرى بزهرة ما . . تنام فى قلبى . . لكنك لم تفعل . .

وكانت أمى تقرأ الجفاف فى نبضى المشروخ تنصحنى بأن أعرض عنك .

{ تهمس (لوسيان) إلى (يورغو) الذى استطاعت أن تقوده إلى غرفتها الخاصة بالكازينو } . .

- . . من أجلك تعلمت اليونانية .

- . . لكنى أتحدث العربية بطلاقة ، وأفهم فى أمور النحو والصرف. . وأحفظ الشعر جيدا . . فلماذا أرهقت نفسك ؟

- . . كنت أحلم دوما بهذا اللقاء . . خشيت أن تفرقنا اللغة .

- . . أعرف الانجليزية . . ولغات أخرى كثيرة . . كحال معظم اليونانيين . . سلاحنا الدائم فى الغربة والترحال . .

- لكنى أحبك . .

- . . أنا لا أكرهك . . فقط . . أريدك الآن . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

- (أنخاريستو . . هاريكابولى) . . اشكرك لقد تمتعت كثيراً ! !

. . . . . .

. . . . . .

- أصحى يا (شبرو) . . الحفلة إنتهت . . والديك بيدن . . كوكو . .
كوكو ! !

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

العطــــارين . . .

قال الأستاذ لمن حوله فوق حصيرة المساء :

- . . إن من حق الرعايا المصريين على الحكومة المصرية أن تعين لهم قنصلا مصريا فى شارع (العطارين) . . يرعى شوءونهم ويسهل أمورهم فى هذا الشارع السكندرى الذى يملك أمره الاجانب . . ويتكلم كل سكانه لغات أجنبية مختلفة !!

- . . أصبت ياأستاذ هذا ما يجب عمله تماما !!

يعقب حسن (زبيبة) وهو يهز رأسه موحيا لمن حوله أنه يعى مايرمى إليه الأستاذ . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

- . . . كان التجار ينزلون فى القلزم [١] قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح . . وينقلون بضائعهم على الجمال إلى الاسكندرية . .

---

(١) السويس حاليا . .

يعبرون الملاحات (مريوط) والطريق الزراعى حتى يأتون الباب الشرقى[1] المطل على البحيرات . . يركنون ليلا . .

وينامون حتى يفتح باب المدينة لهم فى الصباح . . يأتى الحراس . . يفتحون لهم . .

يدخل التجار . . يعبرون المنازل حتى يصلوا إلى الدكاكين[2] داخل المدينة . .

. . . وكان الوكلاء الأجانب يخرجون لاستقبال القوافل القادمة فى العطارين[3] . . ينزلون البضائع فى المخازن الضخمة والخانات[4] . . يحفظونها عندهم ، ويبيعون للتجار المصريين الجزء المراد بيعه فى مصر . .

---

(١) باب دخول المدينة من الشرق يسمى ((باب رشيد)) بجوار الشلالات . موجود حتى الان بقايا الحصون منه . . وتوجد قطعة من سور الاسكندرية القديم بجوار ملعب البلدية (الاستاد حاليا) - أمام (سيدى العمرى) . .

(٢) كانت بعيدة عن الأسوار خوفا من الغزاه . . وكانت منطقة (كوم الدكه) العالية عبارة عن أرباض للجيش خلف سور المدينة لحمايته - يهبطون بعدها إلى العطارين .

(٣) عندما أقام الأجانب بهذا الحى . . اطلقوا عليه إسم (العطارين) لأن كل التجارة به كانت عطارة (SPICES - بهارات) . .

(٤) الخان : بناء ضخم يقوم بوظفتين فى آن واحد : تخزين كميات كبيرة من السلع قبل توزيعها على تجار القطاعى . . وأيواء التجار الغرباء

أما أشياء التصدير فيتم نقلها الى المراكب - القادمة من جنوه والبندقية ومرسيليا - من العطارين . فشارع الخديوى . . ثم الميناء[1] . .

كانت العطارين أهم مركز فى مصر لتصدير البهار إلى (مملكة البهار)[2] فى أوربا . . . وقد أحتكر بعض سلاطين المماليك تجارة البهارات[3] . .

- . . حق كل ما قلتة يا أستاذ . . بارك الله فيك . . فقد كان أبى رحمه الله . . ينقل بضائع تجار الهند من خارج سور المدينة إلى الميناء فوق ظهره . . . كان قويا متينا ! !

- . . . ياعم حسن !! كلام الأستاذ كان من زمن يبعد عنا مئات السنين . .

يعقب (داود) فى خبث ، ثم يقول للأستاذ الذى يوارى ضحكته :

- . . ما شاء الله . . تعرف الكثير . . بالله عليك من أنت ؟

ولماذا أنت بيننا ؟

- . . أوصانى سيدنا لما ودعته قائلا :

(إذا ألقوا عليك هذا السؤال . . فأعتصم بالخرس وتظاهر بالصّم) .

وهكذا أفعل الأن . .

. . . . . .

---

(١) ميناء البصل (حاليا) . .

(٢) هولندا . . التى كانت تمتلك أربعة آلاف جزيرة (بهار) فى أندونسيا . . .

(٣) بلغ الاحتكار ذروته أيام الأشرف (برسبان) الذى أصدر عام ١٤٢٨ مرسوما حرم فيه شراء التوابل من غير مخازن السلطان . .

المصرى افنــــدى . .

السرايا الملكية . .
(البوليس المخصص)

تقرير سرى مرفوع لمعالى دولة الباشا
. . وزير الداخلية . .

(سبحانك اللهم ما أعظم شأنك ، وأعز سلطانك ، واوضح برهانك ! ! آتيت فاروقا الملك والسداد فأصبح عرشه فى وادى النيل قبلة آمال المواطنين ومعقد رجائهم وأطماعهم ، وآية وحدتهم وكلمة أجماعهم . . وقد ملكت قلوبنا سجاياه وشفانا الطيب من رياه !! وآمال مصريين يديه. فى عزه الذى لايرام ، وكنفه الذى لا يضام . لازل ظله على الوطن مديدا ضافيا. ونوره للبلاد مضيئا هاديا ! !) . .

وبعد . . . . معالى دولة الباشا . .

لقد أثمرت جهودنا الدائبة ، وعيوننا الساهرة التى لا تنام عن كشف المجرم الذى يسرب الأخبار والاسرار إلى خصوم الحزب الحاكم للوقوف على أسباب المعارضة القوية أمام معاليكم . .

أنه المجرم (أحمد المصرى) رئيس وردية التليفونات بغرفة عمليات المحافظة - اسكندرية - أستغل وظيفته . . خان الأمانة . . . كان يسجل ما يصل إلى أذنه أولا بأول . .

الأمر الذى نستشف معه أنه كان يساومهم على الأسرار التى تحت يديه (مجرم حقير . . لن يفلت أبدا) . .

لقد استطعنا بفضل عيوننا الثاقبة من تحديد (الوكر الذى يخبىء فيه الأسرار بعيدا عن منزل عائلته (لعنة الله . . . أنه من عائلة طيبة . . وأصل طيب . . واشدهم أخلاصا إلى حزبنا . إن صور معاليكم . . وصور جلالته ، تزين جدران كل غرفة فى منزل أبيه ، حتى فى غرف النوم . . . انهم يتبرءون منه . . يقولون أنه شيطان . . كيف يخاصم حكومة مولانا المعظم) . . . .

لقد جندنا الأومباشى (عبده المحلاوى) لمراقبة الماخور الذى يعيش فيه . . لقد كان من الذكاء إن يركن الى قوم جهلة . . يقبعون فى الفقر - يعرفونه بالأستاذ (على) - ينتظرون ملاليمه تدفئهم . . لم ينتبهوا إلى خطورته . . أستغل سذاجتهم فاعتقدوا أنه (صاحب طريقة) وهكذا كان يعتقد زملاؤه فى العمل عندما أطلق لحيته فى السنوات الأخيرة . . شيطان رجيم . . سوف نتبعه . . حتى نصل إلى بقية الخلية التى يعمل لحسابها .

عندما داهمنا البيت القديم (لانعرف لماذا اختار هذا الماخور ملجأ له . . بالرغم أن الشرخ الكبير ينذر بأن البيت سيؤول للسقوط بين لحظة وأخرى) . . . لم نعثر على أثر له . . لقد فر هاربا . . لكننا سوف نلاحقه . . قبضنا على السكان . . التزموا الصمت جميعا .. تكلم أحدهم يدعى داود :

- . . . كثيرا ما كان يهددنى بأن (هتلر) على الابواب . .

فسألته : للمرة الألف . . بالله عليك . . من أنت يا أستاذ ؟ فأجاب ولم أفهم ما يعنى سوى لأن:

- . . غدا فى مثل هذه الساعة . . إذا كنت بينكم هنا سوف يكون ردى . .وإذا لم أحضر فخمنوا ما شئتم . .

ومن التحريات والتحقيقات اكتشفنا انفصالهم - سكان البيت القديم - عن واقعنا الذى نعيشه . . أطلقنا سراحهم . .

. . . . . .

معالى دولة الباشا . .

لقد استطعنا بفضل من الله ورعايته من ضبط ملفين فى غرفته يحتويان على أسرار خطيرة كان ينوى (المجرم) أن يسربها إلى الخصوم وربما إلى الألمان عندما يصلون أو إلى الأنجليز . . . أو . . . أو. . .

سوف نلاحقة . . للوقوف على من يعمل لصالحهم . . لقد حددت بحدسى الذى لايخيب - تعرفرنه معاليكم - موضع هذين الملفين تحت الصندوق الخشبى المتهالك بالغرفة . .ولقد حرصت أن أطلع وحدى على فحوى الملفين - أحدهما بغلاف أحمر والآخر بغلاف أسود - أولهما عن أخبار جلالته الخاصة جدا أما الثانى فكان عن أخبار معاليكم والحكومة .. (قاتله الله ! !) . .

ونوجز وكلنا أسف بعض الملاحظات المدونة فى الملفين . . . والتى لايستفيد منها سوى الاعداء والخصوم . . . حيث حدد (المجرم) علامات مميزة . . وتلك أمور صغيرة لا تغيب أبدا عن ذكاء معاليكم . .

أولا : ملاحظات من الملف الأحمر :

** سافر الملك فى رحلة ماجنـة إلى البحـر الأحمر . . فقالت الصحافة : أنه سافر لكى يبحث عن الثروة المعدنية ويدرس الجزر الصخرية!!

** ضبط الملك عائدا من سهرة ليلية فى شوارع القاهرة . . فقالت الصحافة : (كلما سمح الوقت لجلالته ، خرج من القصر متنكرا إلى الأحياء الوطنية وهناك يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة) . .

** معقول طبعا . . ألم يسمه أبوه (الفاروق) تيمنا بأسم عمر بن الخطاب ! !

** كان يعجب بجده (إسماعيل) لانه أغتـال وزيـر ماليتـه (إسماعيل المفتش) وكذلك كان إعجابه بجده الأكبر محمد على لأنه دبر مذبحة القلعة لأعدائه المماليك . .

** لم يلبث هذا الذى بدأ يلعب للتسلية والتجربة ، أن أصبح مقامرا شرها لايبرح مائدة القمار إلا ليستريح قليلا ريثما يعود . .

وأصبح نادى الامير (محمد على)[1] - فى شارع فؤاد الأول[2] أمام الكركون الانجليزى[3] - كعبة القصاد ! ! وأصبحت حجرة الملعب مكانا تخرج منه الأخبار والتنبؤات ، والأقوال المأثورة ! !

---

(١) قصر ثقافة الحرية حاليا .

(٢) طريق الحرية الآن .

(٣) نقطة شرطة شريف الآن .

** إن لفاروق راقصة مفضلة ، تماما مثل الملك (هيرود) فى التاريخ القديم . . أما (سالومى) الحديثة فأسمها (. . . . .) ، ترقص حافية القدمين فى ثوب مطرز بالفضة وشعرها يصرخ من الهواء . .

** ..... وينتهى الصيف ويعود موكب الفضيحة إلى مصر من (أوربا) ، ويصطف الوزراء والكبراء لتحية المقام الشهير ، وتطلق المدافع إحدى وعشرين طلقة ، وتصدر الصحف وقد حلت صدرها بصورته . . وكتبت تقول : عاد إلى أرض الوطن من رحلته الميمونة حضرة صاحب الجلالة . . مولانا الملك العظيم . .

حفظه الله ذخرا لمصر !!!

. . . . . .

ثانيا : ملاحظات من الملف الأسود :

** أوفدت (لندن) وزير الدولة مستر (لبتلتون) إلى القاهرة لكى يتخذ القرارات السريعة الحاسمة دون الرجوع إلى (لندن) حتى يتسنى له مقاومة أكتساح (روميل) للصحراء الغربية وللحد من الهزائم المتوالية فى الجيش البريطانى . . . .

** وكان الأنذار :

(إذا لم أعلم قبل السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتكليف وزارة فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعات ما يحدث) .

وفى صباح اليوم التالى - ٥ فبراير ١٩٤٢ - توجه مصطفى النحاس إلى مكتبة برئاسة مجلس الوزراء . .

وقالت إذاعة (لندن): أن الشعب المصرى قد حمل سفير بريطانيا على الاعناق . .

** قال (ع . .) :

– أن (سنيور دوهونى) مدير وكالة الانباء الايطالية هو فى الحقيقة رئيس الجاسوسية الايطالية فى مصر . . ولقد طلبت السلطات البريطانية إعتقاله حتى لايستفيد المحور من المعلومات التى لديه . . . لكنه استطاع أن يغادر مصر تحت أنفهم وبصرهم وهم مكتوفو الأيدى . . لا يستطعون شيئا . .

** قال (ز ..) :

– حالة إيه يا مونشير ! ! . . شعب مصر ألمانى . . وملك مصر طليانى . . . والحكومة إنجليزية . .

** قال المتحدث باسم السفارة البريطانية :

– . . . المهم هو فتح الفندق – ونتربلاس – فورا لأن قطارا خاصا يغادر القاهرة مساء اليوم وهو يحمل خمسمائة من فتيات (الأنسا) – فرقة من الفتيات الأنجليز مخصصة للترفيه عن الجنود البريطانيين – أم تريد أن نترك وراءنا كل هذه المتعه ، غنيمة للجنود الألمان . .

** قال لى (ع . .) :

إن الضابط المصرى – قائد منطقة الاسكندرية – قد أرسل خطابا سريا إلى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة .. يسألها فيه عما يجب عمله فى حالة دخول قوات المحور من الألمان والأيطاليين . . هل يجب أن يقاوم هو وجنوده ؟ أم يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته ؟

وعرض الخطاب على وزير الحربية [1] .

فقال :

- ما تردوش عليه . .

ولكن قائد الاسكندرية عاد وأرسل بعد يومين رسالة سرية اخرى كتب عليها (مستعجل جدا) . .

ويكرر فيها نفس السؤال ويلح فى الجواب . .

ولما عرضت هذه الرسالة الثانية على وزير الحربية صاح :

- أنقلوا ابن . . . ده من اسكندرية وارسلوه حته ثانيه وابعثوا واحد تانى محله . . هو عاوز يودينى فى داهية ! ! !

** - ... وقد جاء فى خطاب (رفعة) رئيس الحكومة الى الماريشال (روميل) . . أن مصر دولة غير محاربة وأن جميع الأجراءات العسكرية التى أتخذتها السلطات العسكرية البريطانية فى مصر قد تمت كرها على غير رغبة من الحكومة المصرية . . وأن مصرحكومة وشعبا تحب السلام . . وتتمسك به . .

** وقد اتصل وزير الأشغال واكبر الأعضاء سناً فى الحكومة (عثمان محرم باشا) بمحافظ الاسكندرية (عبد الخالق حسونه باشا)[2]..

---

(١) الفريق . . . حمدى سيف النصر باشا . . . عن كتاب (اخبار الساسة والسياسة) .

(٢) امين عام الجامعة العربية فيما بعد . . عن نفس المرجع السابق للاستاذ/ محمد التابعى .

ليبلغة خبر المهمة الجليلة الخطيرة التى يعهد بها اليه مجلس الوزراء . . . وهى تسليم خطاب الحكومة الى الماريشال (روميل) . .

- . . . وكيف السبيل للوصول أليه وتسليمه خطاب الحكومة ؟

- تركب يا أخى سيارتك وتخرج بها إلى أن تقابل (روميل) وهو قادم فى طريقه للاسكندرية . .

- هل حصلتم يامعالى الباشا من الجيش الانجليزى على تصريح لى بالمرور بسيارتى ؟

- . . . . . . (سكت معالى . الباشا) . .

- أن بينى وبين الوصول الى الجيش الألمانى قوات الجيش البريطانى المنتشرة على طول الخط . . وهناك كذلك أسلاك شائكه وحقول ألغام . . ثم ليس من الضرورى ان يكون الماريشال (روميل) موجودا فى مقدمة جيشه . . فقد يكون فى مقر قيادته فى المؤخره وراء الخطوط . . . وسوف يلزمنى فى هذه الحالة جواز أمان من القيادة الألمانية . . بخلاف جواز المرور والأمان من القيادة البريطانية . . فهل فكرتم فى هذا كله يامعالى الباشا ؟؟

وضاق صدر الوزير بالأسئلة التى أثارها محافظ الاسكندرية والتى لم تكن موضع بحث أو مناقشة فى مجلس الوزراء . . لأن أحدا من أصحاب الرفعة والمعالى الوزراء لم يخطر بباله أن مقابلة (روميل) ستكون بمثل هذه الصعوبة :

- عل كل حال الخطاب قادم لك . . أحفظه عندك حتى تقابل (روميل) وتسلمه له باليد ! !

- . . . وكيف أقابله ؟

- عندما يدخل الاسكندرية . . أذهب لمقابلته وأعطه الجواب . .

*** ... لقد طلب الانجليز اخلاء الأسكندرية وتلك كارثة اخرى ! !

. . . . . .

معالى دولة الباشا . . .

الآن وقد أطلعتم معاليكم على بعض من الأمور الهامة التى كان يرصدها الشيطان لصالح الشياطين . .

نتشرف أن نرفق لمعاليكم تقريرنا المتواضع ، وملحق به الملفين الأسود والأحمر . . مؤكدين لمعاليكم أن الله سبحانه وتعالى كان معنا لحكمة بالغة فتم الكشف عن هذا العمل الخطير لحماية الوطن من الأيدى العابثة بأمنه ..

آملين أن نكون قد وفقنا فى جانب من مهمتنا حتى يتم القبض على الخائن اللعين الذى لن يفلت أبدا . .

بارك الله جلالته . .

ووفق الله دولتكم . .

مع وافر الاخلاص والاحترام . .

وخالص فروض الطاعة والولاء . .

خادمكم الأمين المطيع

. . . . . .

رئيس قلم البوليس . . .

حاشية لا بد منه :

لقد وجدنا ملفا أبيض فى مكان آخر من الغرفة ، لم يسجل فيه شىء بعد . . سوف نعرف يوما عندما نقبض عليه . .ماذا كان يريد أن يقول ؟؟

- ١٧ -

من أخبار الحرب . .

بدأ أهالى (العطارين) يسمعون دوى المدافع . . ويشمون رائحة الموت القادم من الصحراء . .

- (هتلر) قادم يا (كوهين) . . (يقول أحدهم ساخرا)

- لعنكم الله جميعا . .

ساد الذعر والرعب والفزع بين اليهود الذين أسرعوا إلى بضائعهم المكدسة فى المخازن يعرضونها للبيع بأرخص الأسعار . . يتلقفها منهم التجار الشرقيون . . وهم فرحون لايخفون سرورهم . .

- أخيرا حانت الفرصة للتخلص منهم . . .

- لا منافسين لنا بعد هروبهم . . .

- . . . الآن عدنا نملك كل الاسباب فى اسواق المال والتجارة والسمسرة فى البورصة . . .

- . . . اشترينا منهم بأسعار لا تزيد كثيرا عن سعر التراب .

وبعد أن انتقلت المحلات الى أيدى الشوام واليونانين وأصبحت الأسواق مرتعا خصبا لبضائعهم ولامنافس لهم . .

جلس ابناء البلد - وقد ضيعوا الفرصة - يتبادلون الأخبار والاشاعات والنكات على الانجليز والالمان معا . .

. . . وأرتفعت الاسعار مرة أخرى . . . (حظوظ يا عم ! !)

. . . . . .

كان الأهالى يحاصرون محال البقالة والتموين لكى يشتروا منها حاجاتهم ، يخزنونها للطوارىء . .

أغلق الخواجة (آدم) أبواب محله بسبب شدة الزحام . . وأعمال السرقة . .

. . . . . .

كانت عيون السفارة ورجال اقلام المخابرات البريطانية يقدمون تقارير فيها أن رواد المقاهى فى (العطارين) . . يجتمعون كل مساء حول أجهزة الراديو . . . ينصتون للأذاعات العربية من محطات دول المحور وخصوصا محطة (برلين)[1]

. . . . . .

نفذت فى يومين جميع الدراجات والبسكيليتات من محال بيعها بشارع (العطارين) . .

- لماذا هذا الجنون على شراء تلك المركبات الخفيفة ؟

- يقولون أن الانجليز سوف يحرقون مستودعات البنزين قبل انسحابهم حتى لاتقع فى أيدى الألمان . .

---

(١) كانت السلطات البريطانية فى مصر تخشى ان يقع فى مصر أنقلابا كأنقلاب رشيد عالى الكيلانى فى العراق عام ١٩٤١ . . .

- . . . لا أفهم ؟

- يعنى أنه سوف يستحيل علينا استعمال السيارات فى الانتقال .

- . . يانهار أبوهم أسود . . أقرضنى فورا . . أشترى دراجة . .

. . . . . .

- أنهم يتكدسون أمام القنصلية البريطانية . . يحاصرون المبنى . . يريدون الحصول على (فيزا) أو إذن بدخول فلسطين أم جنوب أفريقيا . .

- . . لمحنا (داود) يجلس بينهم بجوار (العازر) وعائلته . .

. . . . . .

- . . عندما يدخل الألمان . . سوف أرفع يدى بالتحية قائلا : هيل.. هتلر . .

* * *

العجـــار . .

« طلعت يا محلا نورها

شمس الشموسة . . .

يا للى بينا نملا ونحلب

لبن الجاموسة »[١]

. . . . . .

وتستضيف الحكومة (الكريمة) جيوش الحلفاء من مختلف الجنسيات ، تسهل لهم سبل الاعاشة ، ترحب بملوك الدول المغلوب على أمرها وحكوماتها[٢] .

بينما الموت الزاحف من الغرب يطرق ابواب المدينة صباح ذلك اليوم[٣] .

- اهربوا . . هاجروا يا ولاد .

(روميل) . . على الأبواب ! !

---

(١) لحن لسيد درويش . .

(٢) لجأ الى القاهرة ملوك أبعدوا عن عروشهم ومعهم عائلاتهم وكذلك رؤساء جمهوريات (وحكومات حرة) ومن هؤلاء : اليونان - البانيا - يوغوسلافيا - رومانيا - فرنسا - ليبيا - الحبشة . .

(٣) (٢ يولية ١٩٤٢) .

القطيع البشرى يندفع فى شوارع المدينة . . يقطعها ، طولا وعرضا فى نهر من الجنون ، تتدافع فيه مركبات بشرية ، مركبات تجرى على عجل وأخرى على قضبان . . . جميعها تصب فى (محطة مصر) . . .

اسكندرية تجمع أحشاءها وفلذات الكبد تتخبط تحت سحابة الخوف والذعر والمجهول القادم . .

والميدان يضج بالحركة الفزعة المرعبة . . الكل يجرى ، يلهث لا أراديا يحاول أن يلحق بالسراب الباقى . .

موجات بشرية تنحسر كل لحظة ، لتخلى السبيل لغيرها من الموجات .

القطارات الحبلى تئن فوق قضبانها ، لا تريد أن تخذلهم . . تتحرك فى بطىء ، يلجمها الخوف ، يشدها الى أسفل . .

– . . هناك قطارات أخرى . . عند ملاحة (محرم بك) . .

– . . أهربوا إليها قبل أن تبلعكم الكارثة ! !

– . . يا (باشيرو) ! !

– . . أنا هنا يا (زكية) . . أركبى معها ياخاله (أم إبراهيم) ! ! ينطلق بالعربة وسط الزحام .. يدفعها من الخلف (شعبان) ، (ابراهيم) ، (نظيرة) . . . يخترقون طوفان الرعب . .

– . . لا نعرف مكانا نذهب إليه . . يا (شبرو) . .

– . . عند (زيده) يا (زكية) . .

يقول وهو منطلق كالسهم . . لا يلتفت إليها فوق العربة . .

.

. . . . . .

. . . . . .

كانوا يقضون أمسياتهم فى المخبأ الكبير تحت الأرض والقطارات فى محطة مصر . . يتركون أكلهم . . وحكايات البيت القديم . .

أشيا ءهم الصغيرة الجميلة ، أبدا لم يفترقو . . .

البيت القديم وحده خاويا يتصدى للغـارات الليلية المتتاليـة . . . (المخبأ) . . بيتهم الجديد . . يدخلون . . يخرجون . . ينامون . . تحت صفارات الانذار والأمان . . . . طويلة . . متقطعة . . أمان . . خطر . . أمان . . بروم . . . بورروم . .

أبدا لن ينسوا ليلة (الست ساعات) وضرب (باب سدره). أنهدمت البياصة يومها . . رفعت الجثث من تحت الأنقاض . . تم دفن الجثث فى مقابر جماعية . . .

عندما ساورهم الشك . . سألوا عنها :

- .. ماتت (أم الحظ) فى ضرب (باب سدره) !!

. . . . . .

. . . . . .

ركبنا قطار البضائع (مفتوح العربات) من مخازن القطـارات بأرض (محرم بك خلف المحمودية) . . جلسنا فوق روث البهائم فى عربات المواشى ، نريد آن نهرب فى اى شىء . . والعربات المفتوحة ، المكشوفة . . تفضح عوراتنا فى زمن الحرب . .

فيصرخ الرجال :

(النساء والأطفال فى العربات المقفولة والباقى . . .)

. . . . . .

يسير القطار ببطء . . نقلنا فى عشر ساعات . . كانت (زبده) تقول أن المسافة بين اسكندرية وأبو حمص .. ساعة زمن . . (كاذبة يا أمرأة . . الحرب تفضحك) . .

. . . . . .

لم تستطع (نظيرة) أن تميز المحطة فى جوف الليل عندما ركن القطار عندها :

- (أبو حمص) . . اللى نازل !! يصرخ الرجال فى الظلام . .

ننزل . . نتخبط فى السواد . . نتحسس موضع الخطوات . . تسحبنا (نظيرة) بعد أن تأكدت من رائحة الأرض تحتها . .

نمشى داخل الحقول . . فتصطدم بأعواد الزرع الطويلة . . لا نميزها . .

- . . خذوا حذركم . . أمامكم مسقة . . شجرة . . قنطرة . . شجرة توت أحمر . . قناية . . مصطبة . . شجرة . . خلاص .. وصلنا . . . .

ثم تلقى بجسدها فوق أحد الأكواخ . . تخبط فى لهفة :

- أفتحى يا خالتى . . معايا ضيوف من اسكندرية . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

تلفتنا حولنا . . لا يوجد قذف لا قنابل ، لا فوانيس ، لا طوربيدات .. لا حرب هنا .. ولا أكل أيضا ..

تعطفت حكومة مولانا فأرسلت جماعة من (الهلال الأحمر) إلى المركز .. تطوف حول المهاجرين .. توزع عليهم بعض النعم . .

. . . . . .

كانت أمرأة من بحرى - أسمها (أم فريال)- قد أنست إلى مجلسنا.. أرتاحت لنا (هكذا قالت) .. تبعتنا هى وأبنتها الى كل مكان ننزل به ..

- كذلك كان فى أثرنا بعض من نساء وأهالى الحى . . لم يغادرن اسكندرية أبدا - تحمل فوق رأسها صرة ملفوفة لا تفرط فيها . . تتبادل نقلها مع أبنتها :

- . . تضعين كنزك فى هذه الصرة ؟ تقول (زكية) فى خبث .

- . . نعم يا أبنتى . . بداخلها بعض القطع من القماش . . كنت اجمعها من قوت يومنا . . من أجل تجهيز (شوار)أختك (فريال) ..!

تضم المرأة أبنتها إلى صدرها . . تبكى مأساتهم . . ونبكى معهم .

. . . . . .

- . . حقيرة حياتك يا أمرأة . . أين ما كنت تحميلنه من خير إلى الاسكندرية ؟ تسأل (زكية) :

- . . عند أصحابه يا أختى . . أحمله فوق كاهلى . . مقابل ما يسد الفراغ فى بطنى . . لا ولد يعولنى ولا بنت . . يسمموننى (فاكيهه الأبونيه) ! !

. . . . . .

. . . .

حملنا أشياء نا . . الى غرفة كبيرة ، ايجارها عشرون قرشا

– لم ندفعها – وعن جوارنا سكنت (أم فريال) . . وبعض من اهالى العطارين . . يفرشون حصيرة الظهيرة تحت (التوته) . . يثرثرون من جديد . . حكايات الهجار . .

– نحمد الله أن (عزيزة) ليست بيننا حتى لاتفضحنا . .

– يقولان أن الحكومة نقلت المساجين من سجن (الحضرة) إلى سجن (طره) . . أنتهزت (عزيزة) الفرصة . . سافرت إلى هناك لتبقى قريبة من (عباس) . . ومن الانجليز أيضا ! !

. . . . . .

. . . . . .

ارسل (ابراهيم) خطابا إلى خاله فى القاهرة يصف له احوالهم فى المهجر (ابو حمص – فاكهية الأبونيه) . .

. . . . . .

. . . . . .

خافت (أم فريال) أن تكتب أسم أبنتها فى كشوف الاعانة بالمركز حتى لايسحبوها قسرا إلى (الهلال الأحمر) أوالى (خدمات الانجليز) وعادتا تقتسمان نصيب الأم من الأعانة . .

(. . . يأكلنى الجوع أهون من ان يأكلنى قلبى عليها لو أنهم أخذوها لاقدر الله) . .

وعندما أطمئنت أنهم لن يسحبوها الى أى مكان قامت بتقييد اسمها ..

حتى يتم الحصول على حصتها من الاعانة . . . عشرة أرغفة فى يوم . . بعض حبات من الطماطم والفلفل الأخضر فى يوم آخر . . طعمية . . فول . . حلاوة . . جبنة . . وبيض . . (وحفظ الله مولانا) . .

. . . . . .

. . . . . .

أعتاد الولدان أن يتسلقا القطار الذاهب إلى الاسكندرية كل صباح .. ويعودان فى قطار الظهيرة . . يحملان الأخبار . .

أصبحت الاسكندرية (خرابة) . . لا أحد فيها سوى بقايا الرجال . . لاعمل . . لا أكل . . أنهم يتضورون جوعا . . . يذهبون إلى حيث يوجد بعض الاجانب . . ينقبون فى فضلاتهم وبقاياهم عن شىء يقتلون به الجوع . . . وعاد (المعلمين الكبار) يشتغلون اشياء حقيرة . . حتى لايأتون الأهل فى المهجر يخفى حنين . .

(ربنا يحرق الانجليز على الالمان . .) . .

. . . . . .

- . . (الشبرو) مريض . . يقول : . . لا خمر . . ولا أكل . .
(يقول شعبان)

- . . سافر (داود) إلى بلاده . . وأقسم أنه سيعود مرة أخرى . .
(يقول أبراهيم)

- . . من أين لكم هذه الحلوى ؟

- . . أرسلتها لكم . . (لوسيان) وأمها . . كنا هناك . .

نرفع معهم عزالهم . . لقد نقلوا إلى شقة جديدة فى الأزريطة . . . .

تقول لكم . . يمكنكم استعمال مسكنهم عند عودتكم وكذلك السطوح . .

- . . و (ماريكا) . . . و (كوستا) . . . و الخواجة (آدم) .

. . . . . .

كان (أبراهيم) يقرأ الجرائد تحت التوته . . تلتف حوله العزبة كلها والعمدة بينهم . .

- يقولون أن الانجليز طلبوا من الملك الأنتقال إلى فلسطين أو السودان.

- . . . ونعيش أزاى من غير ملك ؟ . . أحنا لازم نروح معاه يابا العمدة . .

- . . نروح فين يا أبن (الكلب) ! !

. . . . . .

عندما وصل القطار القادم من الاسكندرية الى محطة (أبو حمص) . وجد الصغيران . . كل الأهل فى انتظارهما على الرصيف . . (زكية) ، (نظيرة) ، (أم فريال) ، (أم ابراهيم) وأخاها . .

- خالى . . خالى . .

ويلقى بنفسه فى أحضان الرجل الذى يتلقفه ، يغمره بالقبلات ، لم يفطن الى المتاع فى يده . .

- يمكنك أن تودع صديقك . . سنذهب الى مصر حالا . . وتبكى النساء وهن يودعن (أم ابراهيم) . .

القطار يتحرك .. والعقول الصغيرة لم تستوعب بعد ما يحدث حولها..

– مع السلامة . . يا (شعبان) ! !

– مع السلامة . . يا (ابراهيم) أفندى ! ! . (ويبكيان) . . .

. . . . . .

. . . . . .

تصرخ أمرأة فى النساء اللاتى استطاب لهن العيش فى المهجر ، بعيدا عن الجفاف والموت والدمار :

– (عزيزة)رجعت (العطارين) . . والرجال لوحدهم . . (فتهرع النساء خلفها فى أول قطار للاسكندرية) . .

* * *

- ١٩ -

سالمة يا سلامة . .

(يا سالمة . . يا سلامة

رحنا وجينا بالسلامة

يا سالمة . . يا سلامة . .) . .

. . . . . .

لم نكف عن ترويد تلك الكلمات طول الطريق . . حتى أنصهر وذاب فيها ما لقينا من عذاب وعناء . .

ننزوى فى ركن قصى فى قطار العودة . . نرقص . . نغنى . . نثرثر . حكايات جديدة ، وحكايات قديمة . .

. (آه من أيام الفلاحين . . وألف آه) . . تقول امرأة . .

ويبصقنا القطار فى الميدان الواسع . . (محطة مصر) . . ينتظرنا رجال البيت القديم . و (الشبرو) بعربته .. يتفحصنا .. يتفرسنا مليا :

- أين الست أم (ابراهيم) ؟

- سافرت مع أخيها إلى (مصر) : معنا ضيفتان أخريان ! !

(تقول زكية)

– أركبى يا ست (الحاجة) . . اركبى يا (عروسة) . . اركبى يا (زكية) ! !

– كيف حالكم يا أولاد ؟

يسألهم (حسن زبيبة) وهو يدفع العربة من الخلف ، وعن جواره (أبو الروس) . . وخلفهما (نظيرة) التى حزمت خصرها ببقايا (شال) كان لأمرأة العمدة هناك . . .

ترقص . . تتمايل . . لايوقفها أحد . . وفلول العائدين حولها . . يصفقون . . يزغردون . . يهللون :

(سالمة يا سلامة . .

رحنا وجينا

بالسلامة . .) . .

. . . . . .

وتقف العربة أمام البيت القديم . . تقفز (زكية) . . تسرع إلى عتبة البيت . . تنحنى ، تركع فوقها . . تقبلها كثيرا . . وتجرى (نظيرة) تفعل مثلها . . ويفعل (الشبرو) مثلهم . . فيضحكون لتصرفه . . ينظر إليهم . .

– لقد نذرت ذلك يوم ترجعون !! (يقول معاتبا) . وتطلق (نظيرة) زغرودة طويلة تنبه أهل الحى لمقدمهم ، تتبعها (أم فريال) ، (زكية) بزغاريد أخرى . . ويهللون . . ينادون . . يا أم صابر . . أم هانم . . بنت فايزة . . يا عنايات . . نادية . . واد يا ضانى . . يا سمير . .

وتفتح الشبابيك والبلكونات . . يخرج أهالى الحى . . يهللون لهم . ويزغردون فرحا لعودة بقاياهم . .

وتنزل (عزيزة) إليهم تتلقفهم بالأحضان . .

- الست (أم فريال) وأبنتها (فريال) . . سيقيمون معنا . . مكان (لوسيان) وأمها ! !

(تقول (زكية)

فتضمها (عزيزة) إليها . . تقبلها من جديد . . والصرة ما زالت فوق رأس الأم . .

. . . . . .

يفرش الرجال حصيرة المساء كالعادة . . والنساء حولهم . . يحتسون الشاى . . يتعاطون اخبار - أهل الحى - الغائبين . .

. . . . . .

- سافر (داود) إلى بلده . . اقسم انه سيعود مرة أخرى . . و . . وعباس ما زال فى سجن طره ! !

. . . . . .

- (لوسيان) أشترت محل حلويات .. تقف فيه هى وأمها وأخوها .. ونقلوا إلى مسكن آخر فى حى الأزريطة . . ستزورنا يوما . . وعدتنى بذلك ! !

. . . . . .

- الخواجة (آدم) أشترى بيتا ومحلا جديدا بحى (كامب شيزار) من خواجة يهودى . . وأصبح قريبا من ملكهم وحاشيته . . كما كان يحلم ! !

. . . . . .

- لقد أستأجر (كوستا) كازينو آخر على كورنيش البحر بمنطقة (أسبورتنج) من تعويضات الأنجليز عن كازينو (المكس) . . . بينما سافر (يورغو) إلى اليونان . . . لا نعرف السبب . . و (كوستا) بيسلم عليكم ! !

. . . . . .

- . . . أصابها الخبل منذ ضاع (خريستو) . .

- . . . أخذوها مستشفى المجانين . .

- . . لا يارجل . . بل الى ملجأ العجزة . .

- . . فعلها عجوزهم . . (أنطونيوس قبا . . .) . .

يبكى (الشبرو) وهو راقد فى مكمنه بعيدا عنهم ، يسترق السمع . . لن يرى (ماريكا) مرة أخرى . .

. . . .

- ما الذى حدث فى الدنيا يا أولاد ؟

يقول (حسن زبيبة) وهو يتحسر . . . فينتهز (أبو الروس) الفرصة . . ينطلق . . يردد على مسمعهم بعض الذى يعرفه ويحفظه :

- . . لقد تمت المعجزة وأستطاع الجيش الثامن أن يصمد أمام الألمان خلال بقيه الصيف . . حتى شن مونتجمرى هجومه وحصل الحلفاء على أول إنتصار حقيقى لهم . .

- من أين لك هذه المعلومات ؟

- من (الراديو) .. يا (زكية) .. لقد حصلنا عليه من الأنجليز .. أليس كذلك يا (شبرو) ؟

تقاطعة (زكية) :

- (الشبرو) . . لا يسرق أبدا ! !

يضحك . . ويضحكون . . ويغمز (أبو الروس) خلسة إلى (أم فريال) التى تجلس إليهم . . فتوارى ضحكتها . . .

. . . . . .

. . . . . .

صباح اليوم تذكرت (ابراهيم) و (الاستاذ) . .

أفتقدتهما . . . بكيت . .

. . . . . .

. . . . . .

* * *

- ٢٠ -

محطة مصر - (الشبرو) . .

(يا كبدى ع مالوش حد . .
طول عمره يقاسى الوجد . .
وتجرى . دمعته على الخد . .
مسكين حاله بالمره ! !)[1].

. . . .

لقد كان ينتظرها فى هذا الركن القصى ، بعيدا عن عيون حمالى المحطة حتى لا تناله أياديهم القوية ، تلطمه ، تدغدغ آصداغه ، وقد يبلغ الغيظ منهم مكانا فى أيام الجفاف ، فتلاحقه ركلاتهم الغاضبة ، تطارد جسمه فى كل موضع . . (جاء يسرق زبائننا . . ابن السكرانة) . .

لم ينس ما حدث له فى ذلك اليوم البعيد . .

يعرف أنها لم تزل قابعة فوق مقعدها . . لن تبرح مكانها ، وأشياءها الصغيرة التى تتشبث بها قبل أن يخلو الرصيف تماما من كل الركاب . . عندها . . ينطلق من مكمنه . . فى طريقه اليها . . أنها تنتظره . .

يحمل عنها قفصا كبيرا . . .

يعبران السور . . بعد أن يسلما تذاكرهما للكمسارى الواقف لتصيد المخالفين . .

---

(١) لحن . . زرونى كل سنة مرة . . لسيد درويش .

يتخطيان البوابة العالية . . يخرجان الى فناء المحطة . . يتخبطان فى الفلول المتحركة . . يتجهان الى فناء الساحة الواسعة . .

ما أن يلمحهما (شعبان) حتى يسرع يتلقف عنهما ما يحملانه . . يسند العربة بعد أن يضع كرسيا خشبيا صغيرا تحت قدميها . . تستند أليه ، يرفعها الى ظهر العربة . . يرص بضاعتها . . يطمئن الى جلستها والأشياء حولها ، يرفع طرف جلبابه . .يقضمه بأسنانه . . يشمر عن ساقين مخرتهما الأيام . .

يطلق العنان لقدميه تحملهما . . يجر العربة . . يدفعها (شعبان) من الخلف .

. . . . . .

فى الطريق من محطة مصر إلى مكانها المألوف مروراً بشوارع ابن الخطاب . . جامع سلطان . . راغب باشا . .

– لا تنس طلبات أخوتك وأخوالك فى البلد . .

– . . أعرفها . . أحفظها جميعا . .

. . . . . .

تحط عند (راغب) باشا ، تفرش اشياءها يقبل زبائنها . . يحسبون لمقدمها . . تبيع لهم وتثرثر من جديد . .

يخرج زجاجته الأثيرة من مكمنها . . يتجرع منها . . تعرف أنه لن يتكلم حتى تركب قطار العودة آخر النهار . .

ما هى إلا لحظات حتى ينزوى تحت العربة . . يغط فى نوم عميق كطفل برىء . .

. . . . . .

تأتى (نظيرة) ، تحمل بقايا البضاعة التى لم تتمكن من بيعها ، تقدمها الى خالتها (فاكيهة) بعد أن تقبل يدها . . .

تنظر فى ازدراء ونفور الى زوجها النائم تحت العربة . . تتجه نحوه . كاظمة غيظها ، تركله بقدمها . . لا يهب مفزوعا ، يلملم بقاياه كالعادة . . بل يتدحرج ساكنا . . تتجمد أطرافها . . تصرخ :

- يا . . . . شبرووووووو ! ! !

. . . . . .

. . . . . .

« اللهم أغفر له . . وأرحمه وعافه . . وأعف عنه وأكرم نزله . . ووسع مدخله . . وأغسله بالماء والثلج والبرد . . »

ويقفز البعض يتلقف الجثمان الممدود . . (وحدوه) . . ثم تغطى ثنايا الصندوق الخشبى بالمفرش المزركش . .(الطربوش) فوق شاهد النعش يفضح النائم أبدا . .

(عمره ما لبس طربوش فى حياته)« كل من عليها فان » . .

يلتف الجمع المتناثر من جديد إلى الطابور الجنائزى ، يتقدمه (كوستا) والخواجة (آدم) يحملان باقتى زهور . .

(لم يذكر التاريخ أن (الشبرو) لمس زهرة واحدة فى حياته) . .

. . (ما دايم الا وجهه) يصرخ المرعوش . .

(يا رجل . . أرحم نفسك . . كلنا سوف نموت) . .

(مع السلامة . . يا طيب) . . ينهنه (حسن زبيبة) . .

وتتعلق الأعين الصغيرة بصندوق الوداع المزركش . . تخترقه للداخل . تهمس فى الأذن الراضية المطمئنة . . تزعجها بالسؤال التائه : (لماذا هربت منى ؟) . .

(الواد ده وشه حلو على . . هاخده معايا يا (زكية) . .

قطعة منك . . أحبه) . . (بوللى) يحبك أكثر يا (شبرو) . .

الخطوات البطيئة الثقيلة تقتل الأسفلت ، لا يصرعها سوى الهمهمات تطارد الكابوس الجاثم فوق الأنفاس . .

(السهرة كانت حلوة وعايزاك) . . . (سامحنى يا شبرو)

يبكى (أبو الروس) بحرقة . .

. . . . . .

. . . . . .

- . . . من . . . يا (شبرو) ؟

- أمى . . زكية . . بوللى . . كل الناس .

- . . . من . . . يا (شبرو) ؟

- (الانجليز) عند (عزيزة) . . (الالمان فى العلمين). . . . (كوستا) فى (الكازينو) . . داود اللئيم يسرقنا . . الأومباشى (عبد ربه) يخذلنا . .

- . . . والخمر . . . الخمر يا (شبرو) ؟

- . . . سامحنى يا رب ! ! !

. . . . . .

. . . . . .

وتتحرك الأرض تحت الأقدام ..(بنت الكلب مش عايزه غير الانجليز) . . (وحدوه) . . ويعدو الموكب فى خطوات واسعة . .

(سبحانه يقول للشىء كن فيكون) . .

(هو بيجرى ليه ؟) . . (طول عمره كان بيجرى . . وحدوه) . . يصرخ (المرعوش) . . .

وتمتزج ضربات الكفوف المذهولة بزفرات الشفاه المطوطة ، تحلق فى الاجواء الخائفة . . تقذف شحناتها فى كل اتجاه . .

– . . . طلبت منه أن يبيع . . رفض . . ماذا أخذ معه ؟

– . . لكن الأمل ما زال معقودا على (نظيرة) ! !

– خيراً فعل . . لا تحلم كثيرا يا رجل . . لن يهلوك حتى تسرقهم مرة أخرى . .

(يقول الشاب الأنيق – الذى يتّسير عن جواره – غاضبا وهو يدفعه بعيداً عنه) .

– من أنت . . بحق الله ؟

– . . أوصانى سيدنا لما ودعته قائلا : إذا ألقوا عليك هذا السؤال .. فأعتصم بالخرس . . وتظاهر بالصّم . . .

قال الشاب الأنيق لداود الذى ألجمته المفأجاة . . فأخذ ينبش فى ذاكرته العجوزة . . أين سمع تلك الكلمات من قبل . .

ينطلق الشاب إلى وسط الأهل . . قبل أن تصل خيوط الادراك إلى الرأس اللئيم . .

يقترب من الصغير . . يرتب على كتفه . .

- هى حال الدنيا . . يا شعبان ! !

يتطلع إليه الصغير من تحت الدموع :

- عرفتك من قلبى . . بدون لحيه . . أنت الأستاذ ! !

- الشرخ يزداد أتساعا . . أخبرهم بذلك . . يجب أن تفعلوا شيئا . .

- . . وأنت . . هل تتركنا ؟

- . . سوف نلتقى قريبا . .

يشد (الأستاذ) على يد (شعبان) وهو يلقنه وصاياه ثم يندفع مخترقاً الأجساد كلها . . يذوب فيها . . يخفض الرأس . . يتوارى خلف الجميع .. والأعين إلى أسفل .. تبحث عن مساحة خاوية تحتوى الأقدام ..

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

العطـارين . .

محمد عبدالله عيسى

١٩٨٨/٣/٣٠

اسكندرية

الفهرس

** صدر للمؤلف :

١ - الطـاحونة	قصص	١٩٨٢
٢ - الخــروج	رواية	١٩٨٧/٨٢
٣ - القبــو	رواية	١٩٨٦

** تحت الطبع :

١ - حدث فى يوم الزينة . . (مجموعة قصصية) .

٢ - من أروقة الغابة . . (« «) .

٣ - التعب . . (« «) .

** عنوان المؤلف :

هيئة قناة السويس - الإسماعيلية

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩٠٢ / ١٩٩٠